قواعد السلوك والتعامل

بين الزوجين

قواعد السلوك والتعامل بين الزوجين

نظرة عامة في النصوص الشرعية

تأليف

الشيخ حيدر اليعقوبي

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول الله تعالى :

(وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً) الروم- ٢١

وفي الحديث المشهور عن النبي (ص) :(خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي) ..

وهو بمعنى من المعاني شامل للزوجين معاً .

وفي بعض الروايات أن النبي (ص) سأل فاطمة الزهراء (ع) عن زوجها امير المؤمنين (ع) فأجابته : انه خير زوج .

ولما سأل علياً عنها أجابه : نعم العون على طاعة الله .

هكذا يفترض ان تكون العلاقة الزوجية ، لأنها بحسب الأصل علاقة تكامل من جميع الجهات المادية والمعنوية ..

وفي الحقيقة فإن هذه هي إرادة الخالق عز وجل ، حيث ورد في علل الشرائع أن الله تعالى لما خلق حواء سأله آدم (ع) : يارب من هذا الخلق الحسن الذي قد آنسني قربه والنظر إليه ؟ ، فأجابه رب العالمين : هذه حواء ، أفتحب أن تكون معك فتؤنسك وتحدثك ؟ ، فقال آدم (ع) : نعم يارب ولك بذلك الحمد والشكر .. فتمت الخطبة والزواج .

ثـم إنـه ينبغـي الإلتفـات الى أن العلاقـة الزوجيـة وفـق جميـع الأديـان والـمذاهب والـمعتقدات مبنيـة علـى عقـد تواصـل ومـودة ، وتفـاهم وألفة ، وتقارب ووئام ، وتلاحم وانسجام ..

فالـمفروض أن تكون الـحياة الزوجية معبرة فعلياً عن هذه الـمضامين، ومـجسدة عملياً لهذه الـمعاني ..

وبـذلك تتحقـق الـحالة الطبيعيـة ، والا كـان هنـاك شـذوذ عـن الـخلقة السوية ، وخروج عن الفطرة السليمة ..

(صِبْغَةَ اللّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ صِبْغَةً) البقرة -١٣٨

(فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ) الروم- ٣٠

نعم تـحـصل هنـاك أخطـاء أو عـثرات بـين الـزوجين، ولكنهـا بالتأكيـد قابلـة للتـدارك والتعـديل مـن كليهمـا أو مـن أحـدهما علـى الأقـل ، مادامت النية الـحسنة موجودة .

ونــحن في هـذا الكتـاب سنسـتعرض أهـم القواعـد والـمبادئ الـتي يُفترض أن تـحكم سلوك الـزوجين وتعاملـهما مـع بعضـهما ، ليحققـا معاً الهدف الـمنشود والحالة الطبيعية للعلاقة الزوجية .

وسنعتمد في تـحديد هـذه القواعـد السلوكية على النصـوص الشرعية الـواردة في كتـاب الله تعـالى وفي كلمـات الـمعصومين (الـنبي مــحمد

(ص) وأوصيائه الطاهرين (ع)) ..

حيث يقول الله تعالى :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً) النساء - ٥٩

والله الموفق ، ومنه التسديد والتأييد .

ترتيب محاور الكتاب

هذا الكتاب يتضمن عدة محاور :

أولها - بيان جملة من الأخلاقيات العامة التي يُفترض (بنحو الإيجاب أو الإستحباب) أن تكون قواعد وضوابط للسلوك أو التعامل بين الزوجين .

ثانيها - بيان أهم القواعد والنصائح الخاصة بسلوك الزوج وتعامله مع زوجته .

ثالثها - بيان أهم القواعد والنصائح الخاصة بسلوك الزوجة وتعاملها مع زوجها .

ثم نستعرض للفائدة الأكمل أهم القواعد والنصائح المتعلقة بسلوك الآباء أو الأمهات وتعاملهم مع أبنائهم وبناتهم ، وكذلك سلوك الأبناء والبنات وتعاملهم مع آبائهم وأمهاتهم ..

لعلنا نحصل بالنتيجة ولو على الخطوط العامة لبناء الأسرة النموذجية ، التي هي أساس بناء المجتمع ونجاحه ..

(رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ) الفرقان - ٧٤

المحور الأول :

قواعد ونصائح عامة للتعامل بين الزوجين

حيث توجد مجموعة من السلوكيات التي يُفترض أن يُطبقها الزوج والزوجة لتنجح علاقتهما وتدوم بإذن الله تعالى .

وسوف يترتب على تطبيق هذه القواعد السلوكية ثلاثة أمور :

أولها – إبراء الذمة من هذه الناحية ، وتحقق طاعة الله تعالى بإمتثال الأمر الشرعي المتوجه لكل واحد من الزوجين ، ولو بعنوانه العام (بإعتباره أحد المكلفين على أية حال) .

يقول الله تعالى :

(وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَاحْذَرُواْ ، فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاَغُ الْمُبِينُ) المائدة-٩٢

(وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) الأنفال-٤٦

ثانيها – تحصيل الأجر والثواب ورضا الله تعالى ، حيث يقول عزوجل :

(وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتَ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَـئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ نَقِيراً) النساء-١٢٤

(يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ) التوبة-٢١

ثالثها - حصول المقدمة اللازمة للتكامل والصلاح ، سواء على المستوى الفردي أو النوعي ..

ونقصد بالمستوى النوعي ما يشمل الأسرة بمعناها الخاص ، وهم الزوجين وأولادهما ، والأسرة بمعناها العام ، وهم الأقرباء والأرحام من كلا الطرفين ، فإنهم يتأثرون سلباً أو إيجاباً بواقع الطرفين (الزوج والزوجة) .

بل المتأمل يلاحظ أن تطبيق السلوكيات والأخلاقيات المفترضة (بنحو الوجوب أو الإستحباب) ، يؤثر تلقائياً بالمجتمع عموماً ، لأن كل فرد وكل أسرة جزء من أجزاء المجتمع ، وركن من أركانه ، فإذا صلح هذا الجزء أو تكامل هذا الركن ، أمكن أن يؤدي ذلك الى صلاح جزء آخر أو تكامل ركن آخر ، وهكذا يسري الصلاح والتكامل شيئاً فشيئاً ..

ولنتذكر معاً الحديث الوارد عن النبي (ص) : (عليك بمحاسن الأخلاق فاركبها ، وعليك بمساوي الأخلاق فاجتنبها ، فان لم تفعل فلا تلومن إلا نفسك) .. نسأل الله تعالى التوفيق والتسديد .

وفيما يلي بيان أهم تلك القواعد والنصائح العامة للتعامل بين الزوجين :

١ – القناعة ، بمعنى أن تتوفر القناعة المناسبة عند الزوجين ، بأن يقنع أحدهما بالآخر ، وأن يقنع كلاهما بالوضع الذي هما فيه ، وبالحال الذي هما عليه ، من دون أن ينشغلا بمراقبة الآخرين والمقارنة معهم ..

فإن الله تعالى يقول :

(وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى) طه- ١٣١

وفي الحديث عن الصادق (ع) : (حُرم الحريص خصلتين، ولزمته خصلتان ، حُرم القناعة فافتقد الراحة ، وحُرِمَ الرضا فافتقد اليقين).

وقد ورد في الحكمة أن من راقب الناس مات هماً .

بينما نسمع في الحديث عن النبي(ص): (القناعة ملك لايزول) ، وفي حديث آخر عن أحد الأئمة (ع) : (ان الله جعل الروح والراحة في اليقين والرضا) .

وفي الرواية ان الله عز وجل أوحى إلى موسى بن عمران (ع) : (ما خلقت خلقاً أحب إلي من عبدي المؤمن ، فاني إنما أبتليه لما هو خير

له ، وأعافيه لما هو خير له ، وأزوي عنه ما هو شرّ له لما هو خير له ، وأنا اعلم بما يصلح عليه عبدي ، فليصبر على بلائي ، وليشكر نعمائي ، وليرض بقضائي .. أكتبه في الصديقين عندي اذا عمل برضائي وأطاع أمري) .

نعم لابأس بالطموح الإيجابي ، وهو الذي لايتعارض مع الشريعة ، ولايؤدي الى الوقوع في المشاكل والمفاسد .

٢ - الصبر ، بمعنى أن يصبر كل واحد من الزوجين على الآخر ، فيتحمله ويتحمل عنه ، لأجل تمشية الحال وراحة البال ..

وقد قال الله تعالى :

(انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب) الزمر- ١٠

وفي الحديث عن الباقر (ع) : (إني لأصبر من غلامي هذا ، ومن أهلي على ما هو أمرّ من الحنظل ، انه من صبر نال بصبره درجة الصائم القائم ، ودرجة الشهيد الذي قد ضرب بسيفه قدام محمد (ص)) .

كذلك وردت رواية أخرى عنهم (ع) : (ثلاث من النساء يرفع الله عنهن عذاب القبر ، ويكون محشرهن مع فاطمة بنت محمد (ص)) ، وذكر منهن (امرأة صبرت على سوء خلق زوجها) ، ثم قال (ع) :

(يعطي الله كل واحدة منهن ثواب ألف شهيد ، ويكتب لكل واحد منهن عبادة سنة) .

وينبغي الالتفات الى أن الصبر ضرورة على أية حال ، حيث ورد عن المعصومين (ع) : (ان تصبر تغتبط ، وإلا تصبر ينفذ الله مقاديره راضياً كنت أم كارهاً) .

وفي الحديث عن الإمام علي (ع) : (من لم يُنجه الصبر ، أهلكه الجزع) .

٣ - وجود النية الحسنة لدى الزوجين ، بمعنى أن كل واحد منهما ينوي الخير للآخر ، فما دامت النية منعقدة حقيقة على فعل الخير ، واجتناب الشر ، فإن كل واحد من الزوجين سيكون في استعداد وإلتفات ووعي للعمل بمقتضى هذه النية ، كما ان الثواب سوف يملأ صحيفته ، و سوف تزين الحسنات كتابه ، وان لم تتوفر له فرصة التطبيق ، ما دام غير مقصر ولا متهاون في ذلك ..

ففي رواية عن الكاظم (ع) مضمونها ان العبد اذا همّ بالحسنة خرج نفَسه طيب الريح ، فيقول احد الملكين لصاحبه قم ، فانه قد هم بالحسنة ، فاذا فعلها كان لسانه قلمه وريقه مداده فأثبتها له .

ثم إنه ورد في الحديث عن النبي (ص) : (ياأبا ذر ليكن لك في كل شيء نية ، حتى في النوم والأكل) .

وفي الحديث عن الصادق (ع) : عندما سُئل عن معنى العبادة فقال (ع) : (حسن النية بالطاعة ، من الوجوه التي يطاع الله منها) ..

وبذلك ندرك أن نية الخير عندئذ ستكون من مصاديق طاعة الله وعبادته عز وجل .

٤ - السبق أو التسابق إلى الخير و الصالحات ، بمعنى أن كل واحد من الزوجين يتسابق مع الآخر الى فعل ما يحفظ العلاقة الزوجية ويديمها ، ويحمي الأسرة و يجعلها أكثر تماسكاً وقوة ، وليكن سباقهما وتسابقهما هذا قربة لله تعالى ، ليكون أكثر بركة وأجراً ، وأدوم أثراً وذكراً ..

حيث يقول الله تعالى:

(فاستبِقوا الخيرات) البقرة- ١٤٨

(السابقون السابقون ، اولئك المقربون في جنات النعيم) الواقعة- ١٢

وفي الحديث عن الإمام علي (ع) (ألا وان اليوم المضمار ، وغداً السباق ، والسبقة الجنة).

وفي الدعاء المروي عن الإمام علي(ع) : (وهب لي الجد في خشيتك ، والدوام في الاتصال بخدمتك ، حتى اسرح اليك في ميادين السابقين ، وأسرع اليك في المبادرين) .

نعم قد يكون ذلك ثقيلاً على أغلب الأزواج ، ولكن المفروض بالمؤمن العاقل ان لايستثقل الخير أبداً ، فانه رصيده وكنزه ، وقد ورد في الحديث عن الباقر (ع) : (ان الله ثقّل الخير على اهل الدنيا كثقله في موازينهم يوم القيامة ، وان الله خفف الشر على اهل الدنيا كخفته في موازينهم يوم القيامة) .

٥ - التعامل مطلقاً مع الله تعالى ، أي أن الزوج والزوجة يبنيان علاقتهما وسلوكهما فيما بينهما على أن يكون حبهما وتعاملهما لله وفي الله ، فإنه أشد قوة وأعمق رابطة ، وسيكون الله تعالى معهما ، ومن كان مع الله كان الله معه ..

وفي الحديث عن النبي (ص): (مَن أحب في الله وأبغض في الله ، وأعطى في الله ومنع في الله فهو من أصفياء الله) ..

وإذا كان العمل والتعامل لله تعالى ، فلن يضيع شيء أبداً ، وإن لم يقدره الآخرون ، حيث يقول الله تعالى :

(وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى، وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى، ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى ، وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنتَهَى) النجم (٣٩-٤٢)

٦ - التعامل بعقلانية ووعي ، فإن أغلب المشاكل والنزاعات التي تحصل بين الزوجين ، إنما تحصل بسبب التصرفات الإرتجالية والعاطفية التي تصدر بدون وعي وإلتفات ، وبدون تفكر وتعقل ..

بينما نسمع في الحديث عن الإمام الكاظم (ع) : ان الله تبارك وتعالى بشّر اهل العقل والفهم في كتابه ، فقال : (فَبَشِّرْ عِبَادِ ، الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ، أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ ، وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الأَلْبَابِ) الزمر (١٧-١٨) .

وفي الحديث عن الإمام الصادق (ع) : (من كان عاقلاً كان له دين ، ومن كان له دين دخل الجنة) .

وعن الإمام الصادق (ع) : (انا لنحب من كان عاقلاً فهماً فقيهاً حليماً مدارياً صبوراً صدوقاً وفياً) .

وفي الحديث أيضاً : (أكمل الناس عقلاً أحسنهم خلقاً) .

٧ - تدبّـر عواقب الأمـور قبل الـخوض فيها ، فإنه أمر مهم لبناء حياة زوجية ناجحة و مستقرة ، وهو مسئولية الزوج والزوجة على حد سواء ، فالـمفروض بهما الـحذر والحيطة قدر الإمكان ، والتصرف بحكمة ، بعد التأمل وفهم الأمور بوعي وموضوعية ، لأن اغلب مشاكل الـمجتمعات الإنسانية عموماً ، ومشاكل الأفراد خصوصاً انما ترجع إلى الاستعجال وعدم تدبر العواقب قبل التصرفات .

ففي الحديث عن النبي (ص) : (اذا هممت بأمر فتدبر عاقبته ، فان يك رشداً فأمضه ، وان يك غياً فإنته عنه) .

وفي الحديث عن الإمام علي (ع) : (من تورط في الأمور غير ناظر إلى العواقب ، فقد تعرض لمفظعات النوائب .. والتدبير قبل العمل يؤمنك من الندم ، والعاقل من وعظه التجارب) .

٨ - قبـول النصيحة ، فإنه ضروري لتكامل ودوام العلاقة بين الزوجين ، إذا كانت النصيحة والـمشورة من الـمؤمن الـواعي الـمخلص ..

ففي الحديث عن الإمام الباقر (ع) : (اتبع من يبكيك وهو لك ناصح ، ولا تتبع من يضحكك وهو لك غاش) .

وعن الإمام الصادق (ع) ما مضمونه ان المؤمن يحتاج إلى ثلاث خصال : توفيق من الله عزوجل ، وواعظ من نفسه ، وقبول ممن ينصحه .

وقد قال الله تعالى :

(فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ، أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ ، وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الأَلْبَابِ) الزمر(١٧-١٨).

و ذم أولئك الذين لا يستمعون النصائح ، أو لا يأخذون بها ، فقال عزوجل :

(إِن تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءكُمْ ، وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ) فاطر- ١٤

٩ - الإلتفات الى العيوب الشخصية ، ومحاولة إصلاحها وتهذيبها والتخلص منها ولو بالمقدار الممكن ، فإنه ينفع جداً في دفع ورفع مشاكل كثيرة تحصل غالباً بين الزوجين .

حيث ورد عن المعصومين (ع) : (أيها الناس تولوا من أنفسكم تأديبها ، واعدلوا بها عن ضراوة عاداتها) .

ولايخفى أن إلتفات الإنسان الى عيوبه وإعترافه بأخطائه ومحاولة إصلاحها ، يحتاج أولاً الى تواضع حقيقي ، و (إن أقرب الناس من الله المتواضعون) كما ورد في الحديث عن الصادق (ع) ..

ويحتاج ثانياً الى شجاعة فعلية ، ولذلك سمّاه النبي (ص) بالجهاد الأكبر ..

ويحتاج ثالثاً الى إرادة للتغيير والتكامل ، وقد قال الله تعالى : (إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ) الرعد- ١١

ثم إن الله تعالى يقول :

(وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ) الحج- ٧٨

ومن مصاديق هذا الجهاد جهاد الزوج والزوجة لأجل إنجاح وإدامة هذه الرابطة المقدسة (رابطة الزواج) ، حيث ورد عن المعصومين (ع) أنه توجد درجة لاينالها الا ذو عيال صبور ، كما ورد ان (جهاد المرأة في حسن التبعل) ..

وهكذا فان لكل واحد من الزوجين مسئولياته الواجبة أو المستحبة (ولو بالعنوان الثانوي)، التي ينبغي أن يُجاهد فيها بالمقدار الممكن.

١٠ - إيثـار الـمصلحة العامة على الـمصلحة الشخصية ، بـمعنى أنه يُفترض بالزوج والزوجة أن يُرجحا ويُقدّما مصلحتهما العامة كأسرة على الـمصالح الشخصية لكل واحد منهما ، فإن ذلك من مصاديق الإيثار الذي هو من أرقى محاسن الأخلاق ..

وهنا قد يقول البعض بان هذه الصفة صعبة جداً ، وقد لا يفعلها إلاّ ما نـدر ، ونحن نقول لهم : هـذا صحيح ، ولكن لنتذكر ان الصفات العالية تكون عادة كبيرة وثقيلة إلا على العظماء ..

وتعظم في عين الصغير صغارها　　　وتصغر في عين العظيم العظائم

ولـذلك ينبغـي ان لانحـزن ولا نـنـزعج اذا قوبـل إيثارنـا وتضـحيتنا بالتجاهل والنكران من قبل الآخرين ، لان المفروض ان عملنا انـما هو لأجل الـمصلحة العامة وقربة لله تعالى ..

وقد ورد في الحديث عن النبي(ص) : (اصنع المعروف إلى من هـو أهله ، والى من ليس بأهله ، فان أصبتَ أهله فقد أصبت أهله ، وان لم تُصب أهله فأنت من أهله) ..

وفي الـحقيقة فـان التضـحية والإيثـار يـمكن ان يكونـا حـلاً وعلاجـاً لأغلب الـمشاكل الزوجية ، رغم انها قد تكون مستعصية بحسب المتعارف ، وسيأتي بيان ذلك في محله .

١١ - الإستقامــة والعفة ، وهذا أمر واضـح ، وهـو تكليـف عـام علـى أية حال ، حيث يقول الله تعالى :

(فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ) هود- ١١٢

(إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ، تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ ، أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ) فصلت- ٣٠

١٢ - العدالـة والإنصـاف ، بـمعنى ان كـل واحـد مـن الـزوجين يكـون عادلاً ومنصفاً مع الآخر ، حيث يقول الله تعالى :

(إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ) النحل- ٩٠

وفي نهج البلاغة عن الإمام علي (ع) في قـول الله تعـالى (إِنَّ اللّـهَ يَـأْمُرُ بِالْعَدْلِ والإحسان) ، العدل : الإنصاف .

وقال عزوجل أيضاً :

(وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ ، اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى) المائدة- ٨

وفي الحديث عن أمير المؤمنين (ع) : (أنصـف الله ، وأنصـف النـاس ، من نفسك ومن خاصة أهلك ، ومن لك هوى فيه مـن رعيتـك ، فانـك إلا تفعل تظلم ، ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده) .

١٣ - الحِلم وكظم الغيظ ، فإنه أحسن دواء وأفضل علاج لأغلب المشاكل الزوجية ، وهو لقاح ووقاية يحمي الأسرة ويحفظها ..

وفي الحديث عن الصادق (ع) : (ان لم تكن حليماً فتحلّم) .

وقد ذكروا ان الحليم هو الذي لا يعاجل بالعقوبة ، ولا يستفزه الغضب .

يقول الله تعالى :

(وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ) الشورى- ٣٧

وفي حديث آخر عن الصادق (ع) : (ما من عبد كظم غيظاً إلا زاده الله عزوجل عزاً في الدنيا والآخرة ، وقد قال الله عزوجل : (وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) وأثابه الله مكان غيظه ذلك).

وكذلك ورد عنه (ع) : (ما من جرعة يتجرعها العبد أحب إلى الله عزوجل من جرعة غيظ يتجرعها عند ترددها في قلبه ، إما بصبر وإما بحلم).

وعن الصادق (ع) : (من كظم غيظاً ولو شاء ان يمضيه أمضاه ، ملأ الله قلبه يوم القيامة رضاه) .

وعنه (ع) أيضاً : (من لم يملك غضبه لم يملك عقله) .

١٤ - العفـو والتسامح ، فإنه من مقومات الـحياة الزوجـية ، بـه تـدوم وتستمر ، وبه تـتقوم وتتكامل ، وبه يُنال الأجر العظيم ..

حيث يقول الله تعالى :

(وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ، أَلا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ) النور- ٢٢.

(فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) المائدة- ١٣.

(فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ) الشورى- ٤٠

وفي الحديث عن النبي (ص):(ان من خير أخلاق الدنيا والآخرة ، العفو عمن ظلمك) .

وفي ميزان الحكمة عن الإمام علي (ع) : (لا تكثرن العتاب فانه يورث الضغينة ، ويدعو إلى البغضاء) ، وكذلك ورد عنه (ع) :(احتمل أخاك على ما فيه ، ولا تكثر العتاب فانه يورث الضغينة) .

بل ورد في الحديث عن المعصومين (ع) : (عاتب أخاك بالإحسان إليه ، واردد شره بالإنعام عليه) ..

أي قابل إساءة المقابل بالإحسان إليه ، وإدفع تعديه عليك بالتفضل عليه ، فإن هذا غاية النبل والشرف ..

وقد قال الله تعالى :

(ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ) المؤمنون- ٩٦

(وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ، ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ، فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ، وَمَا يُلَقَّاهَا إِلا الَّذِينَ صَبَرُوا ، وَمَا يُلَقَّاهَا إِلا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ) فصلت(٣٤-٣٥) .

وقد مدح الله تعالى أولي الألباب ووصفهم بأنهم :

(وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ) الرعد- ٢٢

وفي الحديث عن النبي (ص) : (ان من خير أخلاق الدنيا والآخرة ، الإحسان إلى من أساء إليك) .

١٥ - إجتناب الخصام والتباعد بين الزوجين مهما حصل بينهما، فإنهما (أي الخصام والتباعد) يثيران الضغائن ويعمّقان الخلافات والمشاكل ..

ففي الحديث عن الصادق (ع) : (إياكم والخصومة ، فانها تشغل القلب ، وتورث النفاق ، وتكسب الضغاين) .

وفي رواية عن النبي (ص) انه نهى عن الهجران ، فمن كان ولابد فاعلاً فلا يهجر أخاه أكثر من ثلاثة أيام ، فمن كان مهاجراً (هاجراً) لأخيه أكثر من ذلك كانت النار أولى له .

وفي رواية أخرى عنه (ص) أيضاً : (فأيهما سبق إلى كلام أخيه ، كان

السابق إلى الجنة يوم الحساب) .
وعن الباقر (ع) (ما من مؤمنين إهتجرا فوق ثلاثة ، إلا وبرئت منهما في الثالثة ، قيل : هذا حال الظالم فما بال المظلوم ؟ فقال : ما بال المظلوم لايصير إلى الظالم ، فيقول أنا الظالم حتى يصطلحا) .
ولايخفى أن الزوج والزوجة أولى بهذا الحكم فيما بينهما ، لأن علاقتهما أعظم عند الله تعالى ، حيث ورد عن النبي محمد (ص) : (أنه ما بُني بناء في الأسلام أحب الى الله تعالى من التزويج) .

١٦ - الرفق ، بمعنى أن كل واحد من الزوجين يعامل الآخر بالرفق واللين ، حيث ورد في الحديث عن المعصومين (ع) : (اذا أحب الله أهل بيت أدخل عليهم الرفق) .
وقد روي عن النبي (ص) :(خير الرجال من أمتي الذين لا يتطاولون على أهليهم ، ويحنّون عليهم ولا يظلمونهم) .
وفي الحديث المشهور : (رفقاً بالقوارير) أي بالنساء .
وفي الحديث عن النبي (ص) : (أيما امرأة لم ترفق بزوجها ، وحَملته على ما لا يقدر عليه وما لايطيق ، لم يقبل الله منها حسنة ، وتلقى الله وهو عليها غضبان) .

وعن الصادق (ع) ان النبي (ص) قال: (ما اصطحب اثنان إلا كان أعظمهما أجراً وأحبهما إلى الله : أرفقهما بصاحبه) .

وفي الحقيقة فإن المفروض بكل واحد من الزوجين أن يرحم الآخر ، ويشفق عليه ، ويعطف عليه ، ويرأف به ، بمقدار ما يمكنه ، تماماً مثلما يريد هو ويتمنى من الآخر ان يعامله به ..

وعن الصادق (ع) : (تواصلوا وتباروا وتراحموا وتعاطفوا) .

وبذلك كله تتحقق الرحمة التي هي مفتاح الخير والبركات المادية والمعنوية ، وهي من أبواب الجنة ورضوان الله تعالى .

وفي الحديث عن النبي (ص) : (ان الله عز وجل رحيم ، يحب كل رحيم) .

١٧ - حسن الخُلق والمداراة ، أي أن كل واحد من الزوجين يحاول قدر إمكانه أن يداري الآخر ، ويُحسن خُلقه معه ، مهما كانت الظروف والأحوال ، ليصفو العيش وتدوم العلاقة وتُدرأ الفتنة بإذن الله عز وجل ..

ففي الحديث عن الإمام علي (ع) : (لا خير فيمن لا يعاشر بالمعروف من لابد من معاشرته) .

وعن الصادق (ع) : (انه لابد لكم من الناس ، ان أحداً لا يستغني عن الناس حياته ، والناس لابد لبعضهم من بعض) .

وعن الإمام علي (ع) : (وأحسن إلى جميع الناس كما تحب ان يًحسن إليك ، وإرض لهم ما ترضاه لنفسك ، واستقبح لهم ما تستقبحه من غيرك ، وحسِّن مع الناس خلقك ، حتى اذا غبتَ عنهم حنوا إليك) .

وقد قيل للإمام الصادق(ع): ما حد حسن الخلق؟ ، فقال (ع): تلين جناحك ، وتطيب كلامك ، وتلقى أخاك ببشرٍ حسن) .

وعن الباقر (ع) : (الخلق عيال الله ، فأحبهم إليه أحسنهم صنيعاً إلى عياله) ..

وهو ينطبق على الزوج والزوجة على حد سواء ..

وورد عن النبي (ص: (امرني ربي بمداراة الناس كما أمرني بأداء الفرائض) ..

ولايخفى أن مداراة الزوجين لبعضهما أولى وأعظم مطلوبية .

ثم إن حسن الخلق والمداراة طريق أكيد الى الجنة ، حيث ورد عن النبي (ص) : (عليكم بحسن الخلق ، فان حسن الخلق في الجنة لا محالة) .

ومن مصاديق حسن الـخلق والـمداراة : طلاقة الوجه وحسـن البشـر وحسن العِشرة ، فإنها صفات تؤدي الى الصفاء والـمودة ..

حيـث ورد عـن الـنبي (ص) : (حسـن البشـر يـذهب بالسـخيمة (أي الـحقد) .

وعن الإمام علي (ع) : (البشاشة حبّالة الـمودة) .

وعن السجاد (ع) : (البشر الـحسن وطلاقة الوجه مكسبة للمحبة ، وقربة من الله تعـالى .. وعبـوس الوجــه وسـوء البــشر مكسبة للمقـت والبعـد من الله) .

ومـن مصـاديق حســن الــخلق والــمداراة : الســهولة وعـدم العسـر والغلظة ..

ففي الـحديث في وصـف سيرة الـنبي (ص) في جلسـائه : (كـان دائـم البشر ، سهل الـخلق ، لين الـجانب ، ليس بفظ ولا غليظ) .

وورد عن النبي (ص) : (المؤمن هيّن لين سمح ، له خلق حسن) .

وورد أيضاً عنهم (ع) : (شر الأخـوان من تُكـلـف لـه) .

وعن الصادق (ع) : (المؤمن حسن الـمعونة ، خفيف الـمؤونة) .

وقد ورد عن النبي (ص) : (خير الـمـؤمنين من كان مألفـة للمؤمنين ، ولا خيـر فيمــن لا يألف ولا يؤلف) .

١٨ - الإحترام المتبادل بين الزوجين ، بمعنى أن كل واحد منهما يتعامل مع الآخر على اساس الإحترام والتقدير المناسب ..
ففي الحديث عن الإمام الباقر (ع) : (عظموا أصحابكم ووقّروهم ، ولا يتهجم بعضكم على بعض) .
وعن الصادق (ع) : (من أكرم مؤمناً فبكرامة الله بدأ) .
وهذا يشمل الزوج والزوجة بطريق أولى .

١٩ - الإحسان و صُنع المعروف (أي الخير) ، بأن يُحسن كل واحد من الزوجين الى الآخر ، ويصنع الخير والمعروف معه ، سواء قابله الآخر بالمثل أم لا ..
حيث يقول الله تعالى :
(إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ) الإسراء- ٧
(وَأَحْسِنُوَاْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) البقرة- ١٩٥
وفي الحديث عن النبي (ص) : (رأس العقل بعد الإيمان ، التودد إلى الناس واصطناع الخير إلى كل بر وفاجر) .
وورد عنه (ص) : (اصنعوا المعروف (الخير) إلى من هو أهله ، وإلى من ليس من أهله ، فان لم تصب من هو أهله ، فأنت أهله) .

وعن الصادق (ع) : (إصنع المعروف إلى من هو أهله ، وإلى من ليس من أهله ، فان لم يكن هو أهله ، فكن أنت من أهله) .

وعن الإمام علي (ع) : (لا يزهدنك في المعروف من لا يشكرك عليه) .

ومن الإحسان والمعروف : إدخال الزوج السرور على زوجته ، وإدخال الزوجة السرور على زوجها ..

ففي الحديث عن النبي (ص) : (من سر مؤمناً فقد سرني ، ومن سرّني فقد سر الله) .

وعن النبي (ص) أيضاً : (الخلق عيال الله ، فأحب الخلق إلى الله من نفع عيال الله ، وأدخل على أهل بيته سروراً) .

مع الإلتفات الى أن إدخال السرور له صور ومصاديق كثيرة جداً ومتعددة ، وبعضها سهل ويسير ، من قبيل الإبتسامة والكلمة الطيبة ونظرة المودة أو العطف ، أو غير ذلك .

٢٠ - إجتناب الظلم والتعدي مطلقاً ، بمعنى أن يحرص الزوجان على عدم تعدي أحدهما على الآخر ، لا بقول ولا بفعل ، ولا حتى بإشارة ، وأن لايظلم أحدهما الآخر بأي وجه من وجوه الظلم ،

سواء كانت مادية أو معنوية .

حيث يقول الله تعالى :

(وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ) البقرة- ١٩٠

(وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ) الشعراء- ٢٢٧

(وَإِنَّ كَثِيراً مِّنْ الْخُلَطَاء لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ، وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ) ص- ٢٤

وقد ورد عن الإمام علي (ع):(لاتظلم ، كما تحب ان لا تُظلم) ..

وعنه (ع) أيضاً : (بئس الزاد الى المعاد العدوان على العباد ، ويوم المظلوم على الظالم أشد من يوم الظالم على المظلوم).

وعن الصادق (ع) : (إياكم أن يبغي بعضكم على بعض ، فانها ليست من خصال الصالحين ، فانه من بغى صيّر الله بغيه على نفسه ، وصارت نصرة الله لمن بغى عليه ، ومن نصره الله غلب وأصاب الظفر من الله) .

وعنه (ع) أيضاً : (من آذى مؤمناً ، فقد آذى الله عزوجل في عرشه ، والله ينتقم ممن ظلمه) ..

٢١ - البِر والتواصل ، بمعنى أن الزوج والزوجة يتعاونان معاً على البر والتواصل فيما بينهما ،

حيث يقول الله تعالى :

(وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى) المائدة- ٢

وعن الصادق (ع) : (تواصلوا وتباروا وتراحموا ، وكونوا إخوة أبراراً كما أمركم الله عزوجل) .

وفي رواية أخرى عنه (ع) : (كونوا إخوة بررة متحابين في الله متواصلين متراحمين) .

والزوجان أولى وأحق بهذه الوصايا والنصائح .

وفي الحديث الوارد عن النبي (ص) : (رحم الله رفيقاً أعان رفيقه على بره ، ورحم الله خليطاً أعان خليطه على بره) .

ثم إن العلاقة الزوجية هي - بمعنى من المعاني - علاقة جوار ، وقد وعنه في الحديث عن المعصومين (ع) :(اعلموا انه ليس منا من لم يحسن مجاورة من جاوره) ..

و هذه العلاقة نعمة من رب العالمين ، وقد ورد عن المعصومين (ع) : (أحسِنوا جوار نعم الله) ، وفي حديث آخر عنهم (ع) عن معنى حسن جوار النعم : (الشكر لمن انعم بها ، وأداء حقوقها) ..

وفي رسالة الـحقوق للإمام زين العابدين (ع) : (وكذلك كل واحد منكما (يعني الزوج والزوجة) يـجب أن يـحمد الله على صاحبه ، ويعلـم أن ذلك نعمة منه عليه ، ووجـب أن يـحسن صحبة نعمة الله ويكرمها ويرفق بها) .

٢٢ - الإعراض عن اللغـو ، وتـجنب الدخول في نزاع أو جدال لا طائل منه ولا فائدة ، وإنما يكون ذلك بحفظ اللسان ، و الهدوء ، و ضبط النفس ، ولو من طرف واحد ، حتى تنتهي الـمشكلة ويزول العارض ، فترجع الأمور الى طبيعتها ، وهذه حقيقة ثابتة ومجربة ..
فقد مدح الله تعالى عباده الـمؤمنين بقوله :
(وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ) المؤمنون- ٣
(وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً) الفرقان- ٧٢
وفي ينابيع المودة ان رجلاً سبّ الإمام السجاد (ع) ، فتغافل الإمام عنه ، فقال له الرجل : إياك أعني ، فأجابه الإمام (ع) : وعنك أعرض .
وفي الحديث عن النبي (ص) : (اصمت لسانك إلا من خير) .
وعن الصادق (ع) : (احفظ لسانك تسلم) .

وعنه (ع) أيضاً : (لايزال العبد يكتب محسناً مادام ساكتاً ، فاذا تكلم كُتب اما محسناً أو مسيئاً) .

وكذلك ورد عنه (ع): (قولوا للناس حسناً ، واحفظوا ألسنتكم ، وكفّوها عن الفضول ، وقبيح القول) ..

المحور الثاني

قواعد ونصائح تتعلق بسلوك الزوج وتعامله مع زوجته

حيث يقول الله تعالى :

(وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً) الروم- ٢١

(وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ) الفرقان- ٧٤

وفي الحديث الوارد عن النبي (ص) : (خياركم خياركم لأهله) .

في حين يعتقد البعض من الرجال ان زوجاتهم ملك لهم ، وان من حقهم أن يأخذوا من المرأة كل شيء ، من دون أن يقابلوها بشيء .

و البعض يعتقد أن المرأة لا قيمة لها بإزاء الرجل ، ولذلك لا يأبهون لمشاعرها ولا يفكرون بحقوقها الخاصة .

ولا يخفى ان مثل هذه الاعتقادات هي من رواسب الجاهلية ومخلفاتها ، ولذلك فهي بعيدة تماماً عن مبادئ الرسالة الإسلامية التي ختم الله تعالى بها رسالاته السماوية .

وبما أننا في صدد الكلام عن قواعد السلوك والتعامل بين الزوجين ، فلابد من ان نعرج على حقوق المرأة ، لان التفريط فيها يعتبر ظلماً ،

والظلم حرام كما بيناه في المحور الأول عند حديثنا عن القواعد العامة للتعامل بين الزجين .

فقد جعل الله تعالى للزوجة عدة حقوق خاصة ، منها ما هو واجب ، ومنها ما هو مستحب ، وهذا طبعاً بغض النظر عن حقوقها العامة باعتبارها أحد أفراد المجتمع المؤمن ، وقد ورد أن للمؤمن على المؤمن حق عظيم كما في الروايات ، بل ورد عن الإمام الصادق (ع) : (المؤمن أعظم حرمة من الكعبة) .

ومحل الشاهد أن للزوجة على زوجها حقوق خاصة ، واجبة ومستحبة ، والواجب شرعاً من حقوقها الخاصة ما يلي :

١- عدم جواز ظلمها أو الاعتداء عليها ، لأن الله تعالى يقول :

(وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ) النساء- ١٩

(وَلاَ تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَاراً لَّتَعْتَدُواْ ، وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ) البقرة-٢٣١

(وَلا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ) الطلاق -٦

وفي الحديث عن النبي محمد (ص) : (خير الرجال من أمتي الذين لا يتطاولون على أهليهم ، ويحنّون عليهم ولا يظلمونهم) .

وفي الحديث عن الإمام علي (ع) : (ان النساء أمانة عند الرجال ، لا يملكن لأنفسهن ضراً ولا نفعاً ، وإنهن أمانة الله عندكم ، فلا تضاروهن ، ولا تعضلوهن) ..

ولذلك ورد عن أبي الحسن (ع) : (ان الله عز وجل ليس يغضب لشيء ، كغضبه للنساء والصبيان) .

فان الله تعالى هو ولي كل عبد ضعيف لا حول له ولا قوة ، اذا كان هذا العبد مظلوماً ، واما اذا كان ظالماً - رغم ضعفه - فان الله تعالى لا يرضى عنه ، ولا يغضب لغضبه إلاّ ان يتوب ويصلح .

٢- وجوب النفقة عليها ، وذلك بان يشبع الرجل زوجته ويكسوها ، أي يوفر لها الطعام والملبس الذي تحتاجه فعلاً لا تجملاً ..

فعن إسحاق بن عمار قال : قلت لأبي عبد الله (ع) : ما حق المرأة على زوجها الذي اذا فعله كان محسناً ؟ قال (ع) : (يشبعها ويكسوها ، وان جهلت غفر لها) .

ويلحق بالإشباع والكسوة جميع ما تحتاجه المرأة فعلاً ، من ضروريات المعيشة كالفراش والسكن والدواء ونحو ذلك مما هو مفصل في كتب الفقه ..

وينبغـي ان تعـرف المـرأة ان وجـوب نفقتهـا مشـروط بعـدم نشـوزها ، حيث يقول الله تعالى :

(وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ) البقرة- ٢٢٨.

٣- وجوب إتـمام مهرها ، سواء كان معجلاً أم مـؤجلاً ، حيث يقـول الله تعالى:

(وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ) النساء- ٢٥.

(وَآتُواْ النَّسَاء صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً)النساء- ٤ .

ولا يخفى ان المراد بالأجور والصدقات هنا هو الـمهر والصداق ..

فلا يـجوز التغاضي عن (الـمؤخر) منه ، بـحجة انه لا يكون للمـرأة إلاّ بعد الطلاق ، فان هذا من الاعتقـادات السـائدة في الـمجتمع رغـم انه لا أساس له من الصحة ، لان المرأة تستحق جميع مهرهـا مـن الناحية الشرعية ، وانما تأجل بعض الـمهر من بـاب انه ديـن في ذمة الـزوج ، فلا تبرأ ذمته مـن هـذا الـدين إلاّ اذا أبرأتـه الزوجـة أو صـالحته عليـه ، وقد ورد عـن الصـادق (ع) : (أيمـا امـرأة وهبت مهرهـا لبعلـها ، فلـها بكل مثقال ذهب كأجر عتق رقبة).

وينبغـي ان تكـون هبتهـا عـن طيـب نفس ، فـلا يـحل للرجـل إجبارهـا

على ذلك أو الاحتيال عليها فيه ، فان الله تعالى يقول :
(فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْساً فَكُلُوهُ هَنِيئاً مَّرِيئاً) النساء- ٤٤

٤- وجوب مواقعتها مرة واحدة على الأقل في كل أربعة اشهر ، بمعنى انه لا يـجوز للرجل أن يترك وطيء الزوجة أكثر من أربعة اشهر ، ففي الحديث عن أبي الحسن الرضا (ع) انه سأله عن الرجل تكون عنده المرأة الشابة فيمسك عنها الأشهر والسنة لا يقربها ، ليس يريد الإضرار بها ، يكون لهم مصيبة ، يكون في ذلك آثماً ؟ ، فقال (ع) : (اذا تركها أربعة أشهر كان آثماً بعد ذلك) ، وزيد في بعض الروايات عبارة (إلاّ ان يكون باذنها) ، وهذا الحكم مما نُقل الإجماع عليه (انظر مهذب الأحكام٢٤/٧٧).

٥- وجوب المبيت عندها ليلة واحدة في كل أربعة ليالي ، بمعنى انه لا يجب عليه أكثر من ذلك ، وهذا الحكم هو مشهور الفقهاء ، وان استشكل البعض في هذا التحديد خصوصاً إذا كانت الزوجة واحدة ، بمعنى انه قد لا يجب عليه المبيت عندها حتى في هذه الليلة الواحدة .. لكن لا يخفى ان الاحتياط متعين ، خصوصاً

ونـحن نتـحدث عـن قواعـد السـلوك والتعامـل النموذجـي بـين الزوجين ، لنصل معاً الى التكامل ، ونتال رضا الخالق عز وجل ..

بل ورد في بعض الروايات ما معناه أن مـما ينـافي الـمروءة ان يبيت الرجـل عن منزله ، بالـمصر (أي بالبلد) الذي فيه أهله .

وفي رسالة الحقوق للإمام زين العابدين (ع) بين حقوق الزوجة على زوجها ، حيث ورد فيها : (وأما حق الزوجة فأن تعلم أن الله عزّ وجلّ جعلها لك سكنا وأنساً ، فتعلم أن ذلك نعمة من الله عزّ وجلّ عليك فتكرمها وترفق بها ، وإن كان حقك عليها أوجب ، فإنّ لها عليك أن ترحمها ، لأنها أسيرك ، وتطعمها وتكسوها ، وإذا جهلت عفوت عنها) .

وفي رواية أخرى : (وأما حق رعيتك بـملك النكاح ، فأن تعلـم أن الله جعلها سكنا ومستراحاً وأُنسا وواقية ، وكذلك كل واحد منكما يجب أن يـحمد الله على صاحبه ، ويعلـم أن ذلك نعمة منه عليه ، ووجب أن يحسن صحبة نعمة الله ، ويكرمها ويرفق بها ، وإن كان حقك عليها أغلظ وطاعتك بها ألزم فيما أحببت وكرهت ما لم تكن معصية ، فإن لها حق الرحمة والـمؤانسة) .

هذه هي حقوق الزوجة على زوجها كما في النصوص الواردة في الشريعة ..

إلاّ ان حقوقها كمؤمنة أو كإنسانة أكثر وأوسع كما تقدم ، والمفروض بنا على أية حال ان لا نقتصر على الواجبات الشرعية ، لان الاقتصار على خصوص الواجبات قد يؤدي بالفرد إلى الهلكة اذا تبين انه لم يؤد جميع ما عليه ، كما لو كان هناك خلل أو تقصير لم يلتفت إليه ، في حين انه لو عمل المستحبات كذلك ، لأمكن تعويض قصوره في الواجبات بثوابه من المستحبات باذن الله عز وجل ..

كما إننا نبحث في هذا الكتاب عن قواعد ومقدمات النجاح والتكامل في العلاقة الزوجية ، وهي بالتأكيد أوسع وأكثر من مستوى الواجبات .

حيث نسمع في الحديث عن النبي (ص) : (خيركم خيركم لأهله ، وانا خيركم لأهلي) ..

وكذلك قوله (ص) : (خيركم خيركم لنسائه ، وأنا خيركم لنسائي).

وعن الصادق(ع) : (رحم الله عبداً أحسن فيما بينه وبين زوجته ، فان الله عزوجل قد ملّكه ناصيتها وجعله القيم عليها) ..

وعن النبي (ص) : (الخلق عيال الله ، فأحب الخلق إلى الله من نفع عيال الله ، وأدخل على أهل بيته سروراً) .

وفي الحديث المشهور : (رفقاً بالقوارير) أي بالنساء .

وفي الحقيقة فإن مداراة الزوجة أمر ضروري واقعاً ، حيث ورد في وصية الإمام علي (ع) : (فدارِها على كل حال ، وأحسِن الصحبة لها ، ليصفو عيشك) .

وفي حديث آخر عنه (ع) : (لا خير فيمن لا يعاشر بالمعروف من لابد من معاشرته) .

ثم انه يستحب تحمّل المرأة والصبر عليها حتى وان كانت مؤذية ، حيث روي عن النبي (ص) : (أوصاني جبرائيل بالمرأة حتى ظننت انه لا ينبغي طلاقها إلا من فاحشة مبينة) ..

وفي حديث آخر عنه (ص) أيضاً : (ومن صبر على سوء خلق إمرأته واحتسبه ، أعطاه الله له بكل مرة يصبر عليها من الثواب مثل ما أعطى أيوب على بلائه) .

وفي الحديث عن الباقر (ع) : (إني لأصبر من غلامي هذا ، ومن أهلي على ما هو أمرّ من الحنظل ، انه من صبر نال بصبره درجة الصائم القائم ، ودرجة الشهيد الذي قد ضرب بسيفه قدام محمد (ص)) .

بقي ان نهمس في اذن الرجل الذي قد يقول بان زوجته لا تعترف أو لا تقابله بالمثل ، فنقول له :

صحيح ان الاعتراف والمقابلة بالخير هو الشيء المفروض فعلاً ، إلاّ اننا ينبغي ان نتذكر جيداً انه يُفترض بنا ان نكون مؤمنين واعين نضع نصب أعيننا رضا الله والجنة والتكامل ، والله يسمع ويرى ويحفظ ، وهو القائل عز من قائل :

(أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى) العلق - ١٤

(وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلا مَا سَعَى ، وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ، ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاء الأَوْفَى) النجم (٣٩- ٤١)

ولنتذكر معاً كلمات الإمام الحسين (ع) : (هوّن ما نزل بي أنه بعين الله) .

فاذا لم تعترف المرأة بجهود الرجل معها ، أو لم تقابله بالمثل ، فانها تحكم على نفسها بالخسارة والندامة ، وتجعل نفسها عرضة لسخط الله تعالى ..

فهل تريد أنت أيضاً ان تكون مثلها من هذه الناحية ؟ ..

أم هل ترضى لنفسك ان تحرم ثواب الصابرين والمحسنين والسابقين ونحوهم ؟ ..

بالتأكيد لا ترضى ذلك لنفسك ..

فاصبر ، واستمر على فعل الواجبات ، بل والمستحبات معها ان أمكنك ، واجعل عملك لله تعالى وحده ، فانه هو الذي يقدّر الأعمال وهو الذي يجازي عليها في الدنيا والآخرة :

(قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لا يَرْجُون أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْماً بِما كَانُوا يَكْسِبُونَ ، مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ ، وَمَنْ أَسَاء فَعَلَيْهَا ، ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ) الجاثية (١٤- ١٥) .

المحور الثالث

قواعد ونصائح تتعلق بسلوك الزوجة وتعاملها مع زوجها

حيث سنتحدث الآن عن حقوق الزوج ، وكيفية السلوك والتعامل الصحيح والشرعي للزوجة مع زوجها ..

ولكي لا تتهمنا النساء هنا بالتحيز أو المبالغة ، فاننا سوف لن نتدخل في المقام إلاّ اذا استدعت الضرورة ، وسنحاول التركيز على عرض الروايات والأخبار الواردة عن المعصومين (ع) في هذه القضية ..

ولا يخفى ان هذه النصوص والروايات حجة أكيدة على جميع الزوجات ، بمعنى انه لابد من العمل بها والالتزام بمضامينها ، فان الله تعالى يقول :

(وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا) الحشر- ٧

(وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ) النساء- ٥٩

ففي الحديث عن الباقر (ع) : (جاءت امرأة إلى النبي (ص) فقالت : يا رسول الله ما حق الزوج على المرأة ؟ ، فقال لها : أن تطيعه ولا تعصيه ، ولا تَصدَّق من بيته إلا بإذنه ، ولاتصوم تطوعاً إلاّ بإذنه ، ولا تمنعه نفسها وان كانت على ظهر قتب ، ولا تخرج من

بيتها إلاّ بإذنه .. وان خرجت بغير اذنه لعنتها ملائكة السماء وملائكة الأرض وملائكة الغضب وملائكة الرحمة ، حتى ترجع إلى بيتها) .

وفي خبر آخر عن النبي (ص) أيضاً ، وقد سألته امرأة عن حق الزوج على المرأة ، فقال (ص) : (وعليها ان تتطيب بأطيب طيبها ، وتلبس أحسن ثيابها ، وتزين بأحسن زينتها وتعرض نفسها عليه غدوة وعشية ، وأكثر من ذلك حقوقه) .

وأضاف (ص) في رواية أخرى : (ولا تبيت ليلة وهو عليها ساخط)، قالت : يا رسول الله وان كان ظالماً ؟ قال : (نعم) .

وعن الصادق (ع) : (ثلاثة لايُرفع لهم عمل) ، ثم ذكر منهم : (وامرأة زوجها عليها ساخط) .

وفي خبر آخر عنه (ع) : (ثلاثة لا تُقبل لهم صلاة) ، ثم ذكر منهم : (وإمرأة باتت وزوجها عليها ساخط) .

وعن علي بن جعفر انه سأل أخيه الإمام الكاظم (ع) : عن المرأة الغاضبة زوجها ، هل لها صلاة أو ما حالها ؟ ، قال : (لا تزال عاصية حتى يرضى عنها) .

بل ورد عن النبي(ص) : (أيما امرأة آذت زوجها بلسان ، لم يقبل الله منها صرفاً ولا عدلاً ولا حسنة من عملها حتى ترضيه) ..

فاحترام الرجل اذاً واجب على المرأة ، ولا يجوز لها إيذاؤه بفعل أو قول ..

وقد ورد في الحديث عن الصادق (ع) : (أيما امرأة قالت لزوجها : ما رأيت منك خيراً قط ، فقد حبط عملها) .

وفي الحقيقة فإنه توجد مجموعة من المواصفات التي ينبغي للزوجة أن تتصف بها ، بحيث تتجسد في تعاملها وسلوكها مع زوجها ..

ففي الحديث عن النبي (ص): (ان خير نسائكم الولود الودود العفيفة ، العزيزة مع أهلها ، الذليلة مع بعلها ، المتبرجة مع زوجها ، الحصان (يعني المتحصنة) على غيره ، التي تسمع قوله ، وتطيع أمره) .

ولا يخفى ان معنى (الذلة) الواردة في الحديث ، انما يراد به التواضع والاحترام ، وليس الذلة الحقيقية ، فإن الرجل مطالب كما تقدم بحفظ كرامة المرأة ..

ويؤيد أن المقصود هو الإحترام ، ما ورد عن الصادق (ع) : (خير نسائكم التي اذا خلت مع زوجها خلعت له درع الحياء ، واذا لبست لبست معه درع الحياء) .. فان الحياء ملازم للاحترام.

وعن أمير المؤمنين (ع) : (خير نسائكم الخمس ، قيل: يا أمير المؤمنين وما الخمس؟ ، قال: الهينة ، اللينة ، المؤاتية ، التي إذا غضب زوجها لم تكتحل بغمض حتى يرضى ، وإذا غاب عنها زوجها حفظته في غيبته ، فتلك عامل من عمال الله ، وعامل الله لا يخيب) .

وعن النبي (ص) في وصف خير النساء : (ألطفهن بأزواجهن ، وأرحمهن بأولادهن) ..

وفي رواية أخرى :(أحناهن على ولد و خيرهن لزوج) .

ومن جهة أخرى نسمع في الحديث عن النبي (ص) في بعض أوصاف شرار النساء : (لا تسمع قوله ، ولا تطيع أمره ، ولا تقبل منه عذراً ، ولا تغفر له ذنباً) .

كذلك ورد في الحديث عن النبي(ص) :(من كانت له امرأة ولم توافقه ، ولم تصبر على ما رزقه الله ، وشقّت عليه وحمّلته مالم يقدر عليه ، لم يقبل الله لها حسنة تتقي بها النار ، وغضب الله عليها مادامت كذلك) .

فان مثل هذه المرأة اما ان تُوقع زوجها في الحرام ، فتكون آثمة ومذنبة من هذه الناحية ، واما ان تسبب له الأذى ، فتكون آثمة

ومذنبة بإيذائها له باعتباره احد المؤمنين فضلاً عن كونه زوجها ..

ومن هنا ورد عن النبي (ص) في النساء : (والدات والهات رحيمات بأولادهن ، لولا ما يأتين إلى أزواجهن لقيل لهن أدخلن الجنة بغير حساب) .. أي لولا أنهن يؤذين أزواجهن فيُحبطن بذلك عملهن ، لقيل لهن أن يدخلن الجنة بغير حساب ..

وهذا دليل على ما قلناه سابقاً من ان المرأة التي تؤدي حقوق زوجها ولا تؤذيه ، فانها تدخل الجنة ..

بل ورد عن النبي(ص) :(لا تؤدي المرأة حق الله عزوجل ، حتى تؤدي حق زوجها) .

وفي الحديث عن النبي (ص) : (إنكن كافرات بحق أزواجكن) ، أي منكرات وجاحدات لحقوق أزواجهن ، أو غير ملتزمات بحقوقهم عليهن .

ثم إنه توجد أمور أخرى ينبغي الإلتفات إليها ، اذا كانت المرأة المتزوجة تريد فعلاً تحصيل التكامل و الجنة ورضوان الله تعالى ، علاوة على حفظ وديمومة علاقتها الزوجية ..

ففي الحديث عن النبي (ص) : (حق الرجل على المرأة إنارة

السراج ، وإصلاح الطعام ، وان تستقبله عند باب بيتها فترحب به) .
وعن الصادق(ع) : (ما من إمراة تسقي زوجها شربة من ماء ، إلاّ كان خيراً لها من عبادة سنة ، صيام نهارها وقيام ليلها ، ويبني الله لها بكل شربة تسقي زوجها مدينة في الجنة ، وغفر لها ستين خطيئة) .

ثم انه ورد عن النبي(ص) :(ما استفاد امرئ مسلم فائدة بعد الإسلام أفضل من زوجة مسلمة ، تسّره اذا نظر إليها ، وتطيعه اذا أمرها ، وتحفظه اذا غاب عنها في نفسها وماله) .
وفي فضل معاونة المرأة لزوجها ورد عن الصادق (ع) : (ثلاثة أشياء لا يحاسب عليها المؤمن : طعام يأكله ، وثوب يلبسه ، وزوجة صالحة تعاونه ، ويحصن بها فرجه) ..
وفي خبر آخر عنه (ع) أيضاً : (ثلاثة للمؤمن فيها راحة) ، وذكر منها : (و إمرأة صالحة تعينه على أمر الدنيا والآخرة) .
وفي علل الشرائع عن الصادق (ع) : (إن الله تعالى أوحى الى آدم (ع) : يا آدم هذه أَمَتي حواء ، أفتحب أن تكون معك تؤنسك ، وتحدثك ، وتكون تبعاً لأمرك) .

وهنا قد تعترض بعض النساء بأن بعض هذه الأمور التي وردت في النصوص السابقة قد لا تكون من الواجبات الشرعية ..

ولكن هذا الاعتراض مرفوض أكيداً ، ولا يليق بالمرأة المؤمنة الواعية التي تريد ان تحفظ عائلتها ، وتصون أسرتها ، وتسير في طريق التكامل و الجنة ورضوان الله عز وجل ، فاننا قلنا في مقام سابق انه من الخطر الشديد ان نغامر بالاقتصار على الواجبات ، فان التقصير فيها ان لم يكن محرزاً فانه مُحتمل ، وهذا يقتضي التعويض بالمستحبات .

أضف إلى ذلك ان المفروض بكل زوجة ، ان تطمح لان تكون من خير النساء أمام رب العالمين ، حتى تكون يوم القيامة مع خير النساء .

ثم ان الله تعالى يقول للنساء :

(وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ ، فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْراً عَظِيماً) الأحزاب- ٢٩

ولايخفى ان الإحسان اعم من أداء الواجبات ، بل لعل الإحسان يختص بما هو فوق الواجبات .

فإرضاع الطفل مثلا ليس من الواجبات الشرعية للزوجة ، ولكنه

عمل مأجور ومثاب ومؤثر في العلاقة الزوجية ، يكفي انه ورد في الحديث عن النبي (ص) ما مضمونه : ان لها بكل مصة للطفل كعدل عتق رقبة ..

كما سيأتي الحديث عن أهمية وعظمة دور الزوجة كأم ومربية .

ومن ناحية أخرى ورد في الحديث عن النبي (ص) :(أيما أمرأة دفعت من بيت زوجها شيئاً من موضع إلى موضعٍ تريد به صلاحاً ، نظر الله إليها ، ومن نظر الله إليه لم يعذِّبه) ..

وعن الكاظم (ع) : (جهاد المرأة حسن التبعل) ..

وقد ورد في المصادر عن الإمام (ع) في ذكر فاطمة (ع) : (ولقد كنت أنظر إليها ، فتنكشف عني الهموم والأحزان بنظري إليها) .

وورد عن الباقر(ع) : (انه تقاضى علي وفاطمة إلى رسول الله (ص) بالخدمة ، فقضى على فاطمة (ع) بخدمتها ما دون الباب ، وقضى على علي (ع) بما خلفه .. فقالت فاطمة : فلا يعلم ما دخلني من السرور إلا الله) .

أي ان النبي (ص) قضى على فاطمة (ع) بان تؤدي واجبات البيت ، وقضى على علي (ع) بأن يؤدي الواجبات التي خارج البيت كالتسوق والعمل ونحوهما ..

ولا يـخفى ان هـذا هـو مقتضـى التعـاون علـى البـر والتقـوى ، فهـو مـتعين بـالعنوان الثـانوي ، وان لم يكـن واجبـاً بـالعنوان الأولـي (الأصلي) .

كذلك ورد عن الإمام علي (ع) في وصف فاطمة (ع) : (كانت إبنـة رسـول الله (ص) ، وأكـرم أهلـه عليـه ، وكانـت زوجـتي ، فجـرَّت بالرحـا ، حتـى أثّرت الرحـا بيـدها ، واستَقت بالقربـة ، حتـى أثَّـرت القربة بنحرهـا ، وقمّـت البيـت حتـى أغبرَّت ثيابهـا ، وأوقـدت تـحت القدر حتى دنّست ثيابها ، وأصابها من ذلك ضر) .

فلتتأمل تلك النساء اللواتي ينادين بالـحقوق والواجبات ، هـل يفعلـن هــذا في بيـوتهن ؟ ، أم أنهـن أكـرم علـى الله تعـالى وعلـى خلقـه مـن فاطمة (ع) ؟!.

إن كـل مـن تقـول ان هـذا لـيس مـن واجـبي ، وان ذلـك لـيس مـن مسئوليتي ، ينبغي عليها أولاً ان تعرف حقوقها هي ..

فهل ترضى ان يتزوج عليها زوجهـا ، أو يبيت عندها ليلة كل أربع ليالي ، أو يقتصر على ما يستر عورتها ويشبع جوعتها ؟!.

أننا كمؤمنين يفترض بنا ان لا نفكر هكذا ، لان هذا تفكير من لم يجعل الله تعالى في حساباته ، ولم يلتفت إلى عظيم الثواب ، ورفيع الدرجات التي أعدها لأهل التضحية والإيثار والإحسان .

أضف إلى ذلك ان المحبة لا تأتي عن طريق التعامل الحدي ، أو مبدأ الأخذ والعطاء ..

وحتى لو حصلت المحبة عندئذ فانها لا تكون بالدرجة نفسها فيما لو كان هناك تضحية وإحسان وتعاون وعفو ، ونحو ذلك من التصرفات والسلوكيات التي لا يفعلها الا صاحب القلب السليم والنية الحسنة الصادقة ..

وقد تقدم الحديث الوارد عن الإمام علي(ع) : (عاتب أخاك بالإحسان إليه ، واردد شره بالإنعام عليه) ..

فهكذا يجب ان نكون فيما بيننا ، وهكذا يجب أن نتعامل فيما بيننا .

وهنا نقول للزوجة ان تجعل علاقتها مع زوجها خالصة لله تعالى ، فان قابلها زوجها بالمثل فهو رفيقها في الجنة ، وفي نفس المرتبة ، وان لم يقابلها بذلك أو لم يعترف بفضلها وإحسانها ، فقد امتازت عنه ، وسبقته ، فاستحقت بذلك ثواب السابقين والصابرين والمحسنين ، ما دامت مستمرة في إحسانها وسبقها وصبرها .

وقد ورد في الحديث عن الصادق (ع) : (جهاد المرأة ان تصبر على أذى زوجها) ..

وفي خبر آخر عنه (ع) : (ثلاث من النساء يرفع الله عنهن عذاب القبر ، ويكون محشرهن مع فاطمة بنت محمد (ص)) ، وذكر منهن (امرأة صبرت على سوء خلق زوجها) ..

ثم قال (ع) : (يعطي الله كل واحدة منهن ثواب ألف شهيد ، ويكتب لكل واحد منهن عبادة سنة) .

بقيت هنا نصيحة عامة للنساء أحببت ذكرها ، وهي نصيحة مبدأية خلاصتها على ما ورد عن الصديقة فاطمة الزهراء (ع) :(خيرٌ للنساء أن لايرينَ الرجال ولا يراهن الرجال) ..

وفي الحديث عن الإمام علي (ع) : (وليس خروجهن بأشد من دخول من لا يوثق به عليهن ، فان استطعتَ ان لايعرفن غيرك من الرجال فافعل) ..

وقد عاتب (ع) جماعة فقال لهم : (ان نساءكم يدافعن الرجال في الطريق ، أما تستحون ؟!) .

فالـمرأة يُفـترض بهـا ان تهـتم بـدينها وبزوجهـا وأطفالهـا وبيتهـا ، فـان هـذا يكفيهـا في تـحصين زواجهـا وأسـرتها ، وفي تـحصيل الـجنة بـل والمراتب العالية ..

واذا أرادت ان تتكامل ، فلتحاول أولاً ان تتكامل من هذه الناحيـة ، فـان تـم لهـا ذلـك ، فلتحـاول كـذلك مـن سـائر النـواحي ، بشـرط ان تراعي قدر الإمكـان ما ورد في الروايـات الثلاثـة الأخيرة ، و إلاّ فانهـا تعرِّض نفسـها للمجازفة والمغـامرة بـدينها وعفتهـا ، ولتتـذكر دائمـاً ان الله تعالى لا يطـاع من حيث يُعصى .

ولنستمع معـاً الى هـذه الرواية الـواردة في تفسـير الـميزان عـن أسمـاء بنت يزيد الانصارية ، أنها أتت النبي (ص) ، فقالت : إنا معشر النسـاء مـحصورات مقسورات ، قواعد بيوتكم ومقضى شهواتكم وحـاملات أولادكم ، وإنكم معاشر الرجـال فضـلتم علينـا بالـجمعة والـجماعات وعيادة الـمرضى وشهود الـجنائز والـحج بعد الـحج ، وأفضـل مـن ذلـك الـجهاد في سـبيل الله ، وإن الرجـل مـنكم إذا خـرج حاجـاً أو معتمراً أو مرابطاً ، حفظنا لكم أموالكم وغزلنـا لكـم أثـوابكم وربينـا لكم أولادكم .. فما نشارككم في الأجر يا رسول الله ؟

فالتفت النبي (ص) إلى أصحابه بوجهه كله ، ثم قال : هل سمعتم مقالة امرأة قط أحسن من مساءلتها في أمر دينها من هذه ؟
ثم إلتفت النبي (ص) إليها و قال لها : (إنصرفي أيتها المرأة ، وأعلمي من خلفك من النساء ، أن حسن تبعل إحداكن لزوجها وطلبها مرضاته ، وإتّباعها موافقته ، يعدل ذلك كله)..
فأدبرت المرأة وهى تهلل وتكبر استبشارا ..

ولا بأس أخيراً أن نذكر هذه النصيحة المشهورة المنقولة عن إمرأة حكيمة توصي إبنتها في ليلة زفافها ، حيث تقول لها :
أي بنيّة ، إنك قد فارقت بيتك ، الذي منه خرجت ، ووكرك الذي فيه نشأت ، إلى وكر لم تألفيه ، وقرين لم تعرفيه ، فكوني له أمة ، يكن لك عبدا ..
واحفظي له عشر خصال ، يكن لك ذخرا ..
أما الأولى والثانية ، فالصحبة بالقناعة ، والمعاشرة بحسن السمع والطاعة ..
أما الثالثة والرابعة ، فالتعهد لموقع عينيه ، والتفقد لموضع أنفه ، فلا تقع عيناه منك على قبيح ، ولا يشمن منك إلا أطيب ريح .

وأما الخامسة والسادسة ، فالتفقد لوقت طعامه ، والهدوء عند منامه ، فإن حرارة الجوع ملهبة ، وتنغيص النوم مكربة أو مغضبة ..

وأما السابعة والثامنة ، فالعناية ببيته وماله ، والرعاية لنفسه وعياله ..

أما التاسعة والعاشرة ، فلا تعصين له أمرا ، ولا تفشين له سرا ، فإنك أن عصيت أمره أوغرت صدره ، وإن أفشيت سره لم تأمني غدره ..

ثم بعد ذلك .. إياك والفرح حين إكتئابه ، والإكتئاب حين فرحه ، فإن الأولى من التقصير ، والثانية من التكدير ..

وأشد ما تكونين له إعظاماً ، أشد ما يكون لك إكراماً ..

ولن تصلي إلى ذلك ، حتى تؤثري رضاه على رضاك ، وهواه على هواك ..

وفي الحقيقة فإن الزوجة إذا طبقت هذه الأمور ، فإن النتيجة ستكون لصالحها ، وسيتحقق ما قالته هذه المرأة الحكيمة من أن الزوج سيكون (بمعنى من المعاني) عبداً لها ، وسيكون أشد ما يكون لها إكراماً .

الإيثار (حلال المشاكل) بين الزوجين

في هذا المحور سنتحدث عن مشكلة تعارض رغبات الزوجين وحقوقهما الواجبة والمستحبة .

حيث نلاحظ انها مشكلة قلما تنجو منها عائلة من العوائل ، وقد طُرحتْ لها حلول كثيرة ومعالجات مفصلة قد لا يكون أكثرها مفيداً من الناحية العملية .

اما نحن فنطرح هنا علاجاً مهماً ، شافياً كافياً بإذن الله تعالى ، وهو التضحية أو الإيثار ، وخصوصاً إذا إجتمع معهما الإيمان بالله تعالى ..

فان إلتزام الطرفين معاً أو أحدهما على الأقل بهذا العلاج سوف يساعد كثيراً في حل المشاكل الزوجية ، لان الفرد اذا آثر غيره على نفسه ، وكان اسبق منه إلى فعل الخيرات ، أو كان سبّاقاً في الإحسان إليه ، وإدخال السرور على قلبه ، فانه بالتأكيد يكون بذلك قد حصل على ثواب جميع هذه الأمور ، كما إنه تقدم بخطوته اللازمة في الطريق الصحيح ، ولا داعي لان يطالب الآخر بالمقابل ، أو حتى ان يطالبه بالاعتراف ، لان عمله كلما كان خالصاً صادقاً ، كلما كانت آثاره أفضل وأحسن .

وهذا طبعاً لا يقتصر على الواجبات ، بل الواجبات مفروضة أصلاً ولها ثوابها وأثرها الخاص ، وانما نحن نتحدث عن الأمور المستحبة بالعناوين الثانوية السابقة ، كعنوان التسابق في البر والتواصل والإحسان وإدخال السرور وقضاء الحوائج ، ونحو ذلك مما قد لا يكون واجباً ، لكن الفرد لو أداه نال عظيم الأجر وحصل على الجنة ، علاوة على أنه ساعد بذلك في بناء وحفظ علاقته الزوجية ..

بل يستطيع كل واحد من الزوجين ان يرقى أعلى الدرجات ، كلما زاد عطاؤه وإيثاره وإحسانه ، فكلما كان الفرد اسبق وأكثر إحساناً وعطاءً من الآخر ، كلما كانت منزلته أعظم عند الله عزوجل :

(إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) ..

وهذا يستدعي منه الفرح والسرور على هذا التوفيق .

ثم ان الوارد في الروايات ان الفرد المؤمن يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، فاذا أراد الزوج مثلاً من زوجته شيئاً معيناً فوق واجباتها ، فليحاول هو ان يفعله لها قربة إلى الله تعالى ، فان قابلته الزوجة بالمثل فهو خير على خير ، وان قابلته بالأحسن فلربما كانت أفضل منه ، وان لم تقابله بشيء من المعروف فيكفيه انه سبقها إلى الخير ،

ونال ثواب التضحية والإحسان ، وقد عرفت ان ثوابهما عظيم جداً .
ومن جهة أخرى فالمفروض بالزوجة المؤمنة كذلك ان تضحي في سبيل زوجها ، وان تُحسِن إليه بعمل المستحبات ، وتحاول ان تُدخل السرور على قلبه قدر الإمكان ، وان تحاول ان لا تتعامل معه بمقدار الحقوق والواجبات فقط ، أو بمبدأ الفائدة والمقابل ، فان ذلك يسبب المشاكل وعدم التوافق غالباً .

ثم ان الواجبات الأساسية مفروضة عليها شرعاً ، فاذا تركتها ستحصل على الاثم والعقاب ، فيكون أداءها للواجبات من باب الإلزام ودفع العقاب الإلهي أو الآثار الوضعية ، في حين انها لو أدت كذلك المستحبات التي ذكرناها قبل قليل ، فانها ستنال أجراً إضافياً ، لأنها جاهدت نفسها وعملت بما يحبه الله تعالى ، قربة إليه عزوجل ، مع انه لم يُلزمها به ، ولم يجعله واجباً عليها ، وهنا تبدأ بالإرتقاء بمقدار إحسانها وإيثارها ..

حيث يقول الله تعالى:
(لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ، وَلاَ يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلاَ ذِلَّةٌ ، أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) يونس- ٢٦

وهكذا فان المفروض ان يتسابق الزوج والزوجة فيما بينهما ، من أجل تقديم المزيد من الخير والإحسان والإيثار ، وذلك امتثالاً لقوله عزوجل :

(فَاسْتَبِقُواْ الْخَيْرَاتِ) البقرة- ١٤٨ .

والفائز السعيد منهما هو الأسبق والأكثر عطاء ..

واما الطرف الآخر فهو اما ظالم لنفسه اذا كان مقصراً ، واما انه عادل وعامل ولكنه ليس من السابقين ، فيكون محروماً من ثوابهم ومنزلتهم ، حيث يقول الله تعالى :

(فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ ، وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ، وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ، جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ) فاطر(٣٢-٣٣) .

نظرة عامة

في مسئوليات الزوج والزوجة مع أولادهما

ينبغي الإلتفات الى أن للأولاد (الذكور منهم و الإناث) تأثير كبير في العلاقة بين الزوجين ، كما إنهم يمثلون جزءاً مهماً من الحياة الأسرية ..

ولذلك نجد في أدعية القرآن الكريم تركيز على أهمية العلاقة بين الأبوين والذرية :

(رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ) الفرقان - ٧٤

(رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ) الأحقاف - ١٥

وهذا يعني أنه مع وجود الأولاد ، سيكون لهم دور وأثر في الحياة الزوجية ، فالمفروض بالزوجين ملاحظة ذلك ، وأخذه بنظر الإعتبار ، إذا كانا يريدان النجاح والتكامل ، على المستويين المادي والمعنوي .

ومن هنا كان من المناسب جداً أن نتحدث عن مسئوليات الزوج و الزوجة مع أولادهما ..

حيث يقول الله تعالى :

(يُوصِيكُمُ اللّهُ فِي أَوْلاَدِكُمْ) النساء- ١١

وفي الـحديث عن النبي (ص) : (انـما سمي الأبرار أبراراً ، لأنهم بروا الآباء والأبناء والإخوان) .

وقد قيل أن الوالد والوالدة لا يحتاجان إلى نصيحة أو إرشاد أو أمر بالعطف على أولادهم ، لان هذا هو مقتضى الفطرة الموجودة في النوع الإنساني ، وهذا القول صحيح وسليم ..

إلاّ إننا مع ذلك سوف نتحدث قليلاً عن مسئوليات الآباء والأمهات مع أبنائهم وبناتهم ، من باب التذكير ، وبيان الأجر ، خصوصاً وان بعض الآباء يعتقد في نفسه أنه مالك لأولاده ، وان من حقه ان يسيطر عليهم كيفما يشاء ولو بالإضرار بهم ، وهذا ما يعاني منه أبناؤهم المؤمنون الذين يقعون بين المطرقة والسندان ..

فمن جهة يريد هؤلاء الأبناء أن لا يُغضبوا آباءهم ، ومن جهة أخرى فان الانصياع يؤدي بهم أحياناً إلى الوقوع في أضرار مادية أو معنوية ، دنيوية أو أخروية .

وقد ورد في الحديث عن النبي (ص) : (رحم الله والدين أعانا ولدهما على برهما) ..

وقد قيل للإمام الصادق (ع) : كيف يعينه على بره ؟ ، فقال (ع) : (يقبل ميسوره ، ويتجاوز عن معسوره ، ولايرهقه ، ولا يخرق له) .
فاذا عرفنا أن إرهاق الأولاد والإضرار بهم يؤدي غالباً إلى القطيعة أو العناد والعقوق ، فعندئذ يكون إرهاق الآباء لأولادهم محرماً ، لان مقدمة الحرام حرام أيضاً كما يقولون ، وهذا هو معنى ما ورد عن النبي (ص) : (لعن الله والدين حملا ولدهما على عقوقهما) .

وفي الحقيقة فإن للولد (ذكراً كان أو أنثى) حقوقاً على أبيه، منها واجبة ومنها مستحبة ، فاذا أردنا تحصين الأسرة والمحافظة عليها ، وتحصيل الجنة ومراتبها العالية ، فالمفروض ان نلتزم - كآباء وأمهات - بأداء الحقوق المستحبة كذلك ، لان الدنيا مزرعة الآخرة ، واذا مضى بالإنسان عمره فقد قلّت فرصته ، فالمفروض به ان يكنز لنفسه ما ينفعه في دار خلوده .
وعلى أية حال فقد ورد عن النبي (ص) : (يا علي حق الولد على والده ، أن يُحسن اسمه ، وأدبه ، ويضعه موضعاً صالحاً) ..
وفي رسالة الحقوق الواردة عن الإمام السجاد (ع) : (واما حق ولدك ، فأن تعلم انه منك ومضاف إليك ، في عاجل الدنيا بخيره

وشره ، وإنك مسئول عما وليته من حسن الادب والدلالة على ربه عزّ وجلّ ، والمعونة على طاعته ، فاعمل في أمره عمل من يعلم انه مثاب على الاحسان إليه ، معاقب على الإساءة إليه).

وفي رواية أخرى : (فاعمل في أمره عمل المتزين بحسن أثره عليه في عاجل الدنيا ، المعذر إلى ربه فيما بينك وبينه بحسن القيام عليه والأخذ له منه) .

وفي رسالة الحقوق أيضاً : (وحق الصغير رحمته في تعليمه ، والعفو عنه ، والستر عليه ، والرفق به ، والمعونة له) .

وفي رواية أخرى عن حق الصغير : (رحمته ، وتثقيفه وتعليمه ، والعفو عنه والستر عليه ، والرفق به والمعونة له ، والستر على جرائر حداثته فإنه سبب للتوبة ، والمداراة له ، وترك مماحكته (أي المشادة معه) ، فإن ذلك أدنى لرشده) .

وقد ورد في الحديث عن النبي (ص) : (أكرموا أولادكم ، وأحسنوا آدابهم ، يغفر لكم) .

وهناك جملة من الروايات توجب على الوالد السعي في رزق الأولاد والتوسعة عليهم ..

ولئن كانت صلة الرحم واجبة ، فأولاد الرجل والمرأة هم أولى

أرحامهما ، وقد ورد عن الصادق (ع) : (ان الله ليرحم الرجل لشدة حبه لولده) .

وعن النبي (ص) : (من قبّل ولده كتب الله له حسنة ، ومن فرّحه فرّحه الله يوم القيامة ، ومن علّمه القرآن دُعي بالأبوين فكسيا حلتين تضيء من نورهما وجوه أهل الجنة) ..

فهذه قواعد وأصول لكيفية سلوك الأبوين وتعاملهم مع أولادهم ، وهي بالتأكيد تحتاج منا الى فهم وإستيعاب وتطبيق ، ويمكن أن تتفرع أو تنبثق منها مسئوليات أخرى على حسب الوعي والتوفيق ، وعلى حسب الظرف أو الوضع الزماني والمكاني .

وفي الحقيقة فان كل واحد من الأبوين إذا أحسن إلى أولاده ، فانه انما يحسن إلى نفسه أولاً وأخيراً ، لان الوارد في الخبر أنه اذا مات الإنسان انقطع عمله إلاّ من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له ..

هذا بالإضافة إلى أن جميع الصالحات التي سيعملها الولد ، فان للوالد والوالدة فيها حصة ، لأنهما تسبّبا فيها بنحو من الأنحاء ، وقد ورد عن النبي(ص) : (انه قال : مرّ عيسى بن مريم (ع) بقبر يعذّب

صاحبه ، ثم مرّ به من قابل فاذا هو لا يعذّب . فقال يا رب مررت بهذا القبر عام أول وهو يعذب ، ومررت به العام فاذا هو ليس يعذّب .. فأوحى الله إليه أنه أدرك له ولد صالح ، فأصلح طريقاً وآوى يتيماً ، فلهذا غفرت له بما عمل إبنه) .

ثم إنه يحسن الحديث عن مسألة مهمة ، وهي العدالة بين الأولاد ، فالمفروض بالزوجين المؤمنين ان لا يميزا بين أولادهما ، إلاّ بميزان التقوى أو الحاجة الفعلية ، فقد روي ان رسول الله (ص) نظر إلى رجل له ابنان فقبّل أحدهما وترك الآخر ، فقال له النبي (ص) : (فهلاّ ساويتَ بينهما) .

وكذلك ينبغي ان لا يفرق الوالد أو الوالدة بين الذكر والأنثى ، فان كل واحد منهما انما هو من عند الله ، وقد اختاره الله تعالى له كما في الرواية ، بل ورد عن الصادق (ع) : (البنون نعيم ، والبنات حسنات ، والله يسأل عن النعيم ، ويثيب على الحسنات) ..

حيث يشير (ع) إلى ما ورد عن النبي (ص) : (من عال ثلاث بنات أو ثلاث أخوات وجبت له الجنة . فقيل : يا رسول الله واثنتين ؟ ، فقال (ص) : وإثنتين . فقيل : يا رسول الله وواحدة ؟ ، فقال : وواحدة) .

وهكذا ندرك ان للولد على أبويه حقوق كثيرة ، اذا تعّمد إهمالها فان الله تعالى لا يرضى عنه عندئذ ..

حيث ورد عن النبي (ص) : (يلزم الوالدين من العقوق لولدهما ، ما يلزم الولد لهما من عقوقهما) .

ومن أوضح مصاديق هذا العقوق هو التقصير في تربية الأبناء دينياً ، لأن من أهم مسئوليات الوالدين (وخصوصاً الأب) تجاه أولادهما أن يبذلا جهدهما في بناء الجانب العقائدي والشرعي والأخلاقي لديهم ، لكي لا يقعوا في دائرة الجهل وآثاره المزعجة ..

وقد ذكرنا قبل قليل مقطعاً من رسالة الحقوق للسجاد (ع) حيث ورد فيها عن حق الولد : (انه منك ومضاف إليك ، في عاجل الدنيا بخيره وشره ، وإنك مسئول عما وليته من حسن الادب والدلالة على ربه عزّ وجلّ ، والمعونة على طاعته ، فاعمل في أمره عمل من يعلم انه مثاب على الاحسان إليه ، معاقب على الإساءة إليه).

فليحذر الآباء حتى لا يظلموا أبناءهم ، خصوصاً من هذه الناحية ، فإن الله تعالى لا يحب الظلم ولا يرضاه ..

وبالمقابل فإن الواجب على الأبناء ، أن يتلافوا تقصير آباءهم من هذه الناحية ، وأن يستغفروا لهم من كل قلوبهم ، فإن هذا هو

مقتضى وجوب البر بهم .

ويتحصل مما سبق أنه توجد مسئوليات وإلتزامات ينبغي أن يتحملها الوالدان لأجل أولادهما ، إذا كانا يريدان حياة عائلية مستقيمة ، وعلاقة أسرية طيبة ..

وأهم هذه المسئوليات والإلتزامات بإختصار :

١ - الإحسان والعطف والمداراة ، وهذه الأمور لها مصاديق كثيرة و متعددة كما لا يخفى .

٢ - التربية الحسنة والتعويد على الصالحات ، وإنما يكون ذلك بالقول والفعل ، وأكثر ما يتأثر الأولاد بالأفعال والتصرفات ، ولذلك نسمع في الحديث عن أمير المؤمنين (ع) : (وليكن تأديبه بسيرته ، قبل تأديبه بلسانه ، ومعلم نفسه ومؤدبها أحق بالإجلال من معلم الناس ومؤدبهم) .

٣ - المتابعة للأولاد وتصرفاتهم ، لحفظهم وحمايتهم من الوقوع في المشاكل والمخاطر ، على أن يكون ذلك بوعي ورفق وحكمة .

٤ - التواصل والإنسجام قدر الإمكان مع الأولاد ، وعدم الإبتعاد أو الإنشغال عنهم الا عند الإضطرار والضرورة .

٥ - إحتواء الأولاد وكسب ثقتهم ، وهذا يحتاج من الأبوين الى صبر ووعي وحكمة عملية ونظرية .

وفي الحقيقة فإن الوالد يتحمل الثقل الأكبر من هذه الناحية ، فالمفروض أن يلتفت الى ذلك ، ويحرص على أداء هذه المسئوليات والإلتزامات بمقدار ما يُمكنه ويقدر عليه ، قربة الى الله تعالى ..

بقي أن نشير الى قضية مهمة جداً ، تتعلق بدور الأم في التربية ، على إعتبار أنها في الأعم الأغلب تكون أقرب الى الأولاد ، وأكثر إختلاطاً وإحساساً بهم ، خصوصاً إذا كانت ظروف الأب تضطره لأن ينشغل عنهم من هذه الناحية .

فالأم تستطيع ان تدخل الجنة من أوسع أبوابها ، اذا اعتنت بأطفالها وقامت بتربيتهم وفق مبادئ الشريعة وتعاليمها .

وهنا قد تعترض بعض النساء بان هذا الأمر قد يكون خارجاً عن واجباتها !!

ولكن هذا الاعتراض غير مقبول من النساء المؤمنات اللواتي يُردن المراتب العالية في الجنة ، فقد ذكرنا ان التسابق إلى الخيرات

مطلوب ، وان الإحسان إلى الآخرين مطلوب ، خصوصاً مع أبناء الإنسان الذين هم أقرب الناس إليه ..

(وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُوراً) الإسراء- ١٩ .

وهنا يُفترض بالمرأة الواعية التي رافقتنا في هذا الكتاب من البداية ، ان لا تسأل عن جدوى خدمة الأطفال أو العناية بهم ، أو حتى ملاطفتهم وملاعبتهم ، فان جميع هذه الأمور مأجورة ومثابة ، وكلما كانت هذه الأمور أشد على الإنسان كلما كان ثوابها أعظم وأرفع ، وقد قلنا في كتابنا (دليل الأخلاق) ان تكامل الإنسان وجهاده لنفسه ينبغي ان يبدأ أولاً مع أقرب الناس إليه ، أو قل يبدأ أولاً ضمن محيطه الاجتماعي ، ولذلك ذكرنا ان المعصومين (ع) كانوا متكاملين من جميع الجهات ابتداء من أنفسهم المقدسة ، وحتى سائر تصرفاتهم مع عوائلهم وأصحابهم وسائر المجتمع ، والى أبعد الحدود ..

ومن هنا ورد في بعض الروايات مامضمونه ان النبي (ص) - رغم أهمية الصلاة - فانه خفَّف في صلاته ، حين سمع صوت صبي يبكي ، وقال (ص) لأصحابه : (أوَ ما سمعتم صراخ الصبي ؟!) ، وهذا من

باب الرحمة والإحسان كما لا يخفى .

فالأم اذاً ينبغي عليها ان تهتم بهذه الأمور ، اذا أرادت أن تحفظ بيتها وأسرتها ، وان تُكتب عند الله تعالى من المحسنين والسابقين والصابرين ونحوهم ممن لهم منزلة ودرجة رفيعة عند الله تعالى ، طبعاً اذا كان عملهم لله تعالى ، أي خالصاً له عزوجل ، فإن جميع الأعمال التي نعملها اذا اعتبرناها لأجل تحصيل رضا الله تعالى وقربهِ فهي محفوظة ومأجورة ...

(مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ) الحديد- ١١

ومعلوم ان الإقراض والتصدق لا يكون بالأموال فقط ، بل هو بالأفعال الحسنة والصالحات أعظم وأرفع ...

(وَأَن لَّيْسَ لِلإنسَانِ إِلا مَا سَعَى ، وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى) النجم (٣٩-٤٠)

ولنضرب مثالاً على ما ذكرناه الآن ، فالرضاعة مثلاً ليست من واجبات الزوجة (الأم) ، ولكن لنستمع إلى ما ورد عن النبي (ص) فيمن أرضعت إحساناً وتقرباً ، حيث يقول (ص) : (اذا حملت المرأة كانت بمنزلة الصائم القائم المجاهد بنفسه وماله في سبيل

الله ، فاذا وضعت كان لها من الأجر ما لا يدري أحد ما هو لعظمه ، فإذا أرضعت كان لها بكل مصة كعدل عتق محرَّر من ولد إسماعيل ، فإذا فرغت من رضاعه ضرب مَلك كريم على جنبها ، وقال : إستأنفي العمل فقد غُفر لك) ..

وفي الحديث عنه (ص) : (خير نسائكم نساء قريش ، ألطفهن بأزواجهن ، وأرحمهن بأولادهن) .

ثم انه ينبغي الإلتفات إلى بعض الأمثلة من النساء اللواتي خلدتهن الشريعة ، واعتبرتهن مثالاً يحتُذى به ..

فهاجِر (ع) والدة إسماعيل النبي (ع) لم يكن لها فضل إلاّ انها إعتنت بإبنها وقامت بتربيته ، ولم تعترض على زوجها إبراهيم (ع) بان التربية ليست من مسئولياتها ..

وكذلك حال مريم العذراء (ع) ..

ولعل موقف أم البنين (ع) زوجة الإمام علي (ع) هو من أوضح الأمثلة في أذهان النساء ، فإنها كرست حياتها لخدمة أولادها وتربيتهم ، بل وحرصت كذلك ان تراعي أيضاً أولاد زوجها (ع) ، وبذلك استحقت عند الله تعالى وعندنا نحن العباد اشرف المراتب وأعلاها ، ولا يشك احد انها ستكون مع المعصومين (ع) والصديقين

يوم القيامة .

ومِن قبلها كانت فاطمة بنت أسد أم الإمام علي (ع) ، التي حزن النبي (ص) عليها كثيراً وتوسد في قبرها ، وعندما سُئل في ذلك أجابهم بما مضمونه انها كانت من أحنّ الناس عليه .

ومن جهة أخرى فان ما ذكرناه الآن هو مقتضى الفطرة الموجودة عند الأم ، واذا خالفت بعض النساء عن ذلك فانها انما تشذ عن الفطرة السليمة التي أودعها الله تعالى فيها ..

والظاهر ان المعصومين (ع) لاحظوا هذه الجهة ، حينما ورد عنهم ان : (الجنة تحت أقدام الأمهات) ، وان الأم تستحق البر أكثر من الأب ، فإنهم (ع) انما لاحظوا غالبية الأمهات ممن تتصرف على حسب فطرتها وطبيعتها ، أو تتصرف على حسب الإرشادات والتعاليم الإلهية الخاصة والعامة ..

ويؤيده ما ورد عن النبي (ص) انه قال عن النساء : (والدات والهات ، رحيمات بأولادهن ، لولا ما يأتين إلى أزواجهن لقيل لهن ادخلن الجنة بغير حساب) .

وأخيراً لابد من القول ان تربية الأبناء وان كانت غير واجبة عيناً على الأم ، إلا انها بالعنوان الثانوي قد تكون واجبة عليها ، لان

الأبناء اذا لم يتحصنوا ضد الشيطان والفساد فانهم سيقعون في المعاصي ، وبذلك تكون الأم عاقة لهم ومقصرة في حقهم ، إذا لم تتحمل مسئوليتها المنجّزة في حقها .

وبهذا ندرك عظمة دور الأم وخطورته ، فهي تستطيع ان تُنتج للمجتمع أفضل الناس ، وذلك حينما تحرص على تربية أولادها تربية إسلامية صحيحة ، كما فعلت هاجر (ع) وأم البنين(ع) ، ونحوهما من الأمهات العظيمات ، وبذلك يكون لهذه المرأة حصة ونصيب في جميع الحسنات التي سيعملها هؤلاء الأبناء سواء لأنفسهم أم للآخرين .

كما ان المرأة تستطيع أيضاً ان تنتج للمجتمع أناساً سيئين ، وذلك حينما تُهمل تربيتهم أو تقصر فيها ، وهذا ما نلاحظه عند أغلب الأمهات اللواتي يتركن تربية أولادهن لأجل الاهتمام بمصالحهن الخاصة أو الشخصية ، وبذلك تكون هذه المرأة قد ساهمت في خراب ابنها أو خراب المجتمع ..

فهذه المسألة يجب على كل أم ان تضعها في بالها ، قبل ان تحدد طريقها في هذه الحياة ، وطريقتها في كيفية التعامل مع أولادها .

وفي الختام نقول كذلك للزوجة الأم : اذا كنتِ تريدين ان تحصلي على ثواب إحياء جميع الناس ، فما عليك إلا ان تسهري على العناية بأولادك لكي يحيون حياة طيبة ، فان الله تعالى يقول :

(وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً) المائدة - ٣٢

ومعلوم ان إحياء النفس الإنسانية يكون من الناحيتين التكوينية والمعنوية .

وليكن هناك تعاون بين الزوجين في مسئولياتهم وإلتزاماتهم المتعلقة بأولادهم ..

وإذا كان هناك تقصير من أحدهما ، فلا ينشغلا بالعراك والنزاع وتراشق الإتهامات فيما بينهما ، فإن الحياة تستمر والوقت يمضي ، وقد تتضاعف النتائج والآثار السلبية إذا لم تُمسك الدفة ليسير المركب بسلام وإتزان ، نحو بر الأمان ، وينجو الجميع عندئذ ..

فالمفروض أن ينهض أحد الزوجين ، ويحاول بالممكن أن يعوض التقصير الصادر من الآخر ، ويُصلح الخلل الحاصل عندئذ ، ولو بالإعتماد على نفسه بعد التوكل على الله تعالى ، فإن هذا هو شأن العاقل الذي يعرف هدفه ، ويدرك الآثار والنتائج المترتبة على التقصير والتهاون في تحقيق مقدمات الهدف والغاية ..

نصائح عامة

تتعلق بسلوك الأبناء وتعاملهم مع آبائهم وأمهاتهم

قلنا أن للأولاد (الذكور منهم و الإناث) تأثير كبير في العلاقة بين الزوجين ، كما إنهم يمثلون جزءاً مهماً من الحياة الأسرية ..

وحيث أننا نأمل في هذا الكتاب المتواضع أن نحصل بالنتيجة ولو على الخطوط العامة لبناء الأسرة النموذجية ، التي هي أساس بناء المجتمع ونجاحه ..

فلذلك تحدثنا قبل قليل عن مسئوليات الوالدين وإلتزامات كل منهما مع الأولاد ، وذكرنا القواعد والنصائح الأساسية المتعلقة بسلوكهما وتعاملهما مع أولادهما .

وينبغي أن نكمل حديثنا الآن بذكر القواعد والنصائح الأساسية المتعلقة بسلوك الأولاد والبنات وتعاملهم مع الأبوين .

حيث يقول الله تعالى :

(وَوَصَّيْنَا الإنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً) الأحقاف- ١٥

(وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً ، إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً ، وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ، وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا

كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً)الإسراء(٢٣-٢٤) .

(وَوَصَّيْنَا الإنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ، وَإِن جَاهَدَاكَ عَلى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا ، وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً) لقمان(١٤- ١٥) .

وقد مدح الله تعالى عبده يحيى (ع) بقوله :

(وَبَرّاً بِوَالِدَيْهِ) مريم- ١٤

وفي رسالة الحقوق للإمام زين العابدين (ع) : (وأما حق أمك : أن تعلم أنها حملتك حيث لا يحمل أحد أحداً ، وأعطتك (أطعمتك) من ثمرة قلبها ما لا يعطي (لا يطعم) أحد أحدا ، ووَقَتك بجميع جوارحها ، ولم تبال أن تجوع وتطعمك ، وتعطش وتسقيك ، وتعرى وتكسوك ، وتضحى وتظلك ، وتهجر النوم لأجلك ، ووَقَتك الحر والبرد لتكون لها ، وأنك لا تطيق شكرها إلا بعون الله وتوفيقه .

وأما حق أبيك : فأن تعلم أنه أصلك ، فانه لولاه لم تكن ، فمهما رأيت من نفسك ما يعجبك فاعلم ان أباك اصل النعمة عليك فيه ، فأحمد الله واشكره على قدر ذلك) .

وفي رواية أخرى لرسالة الحقوق : (فحق أمك : ان تعلم أنها حملتك حيث لا يحمل أحد أحداً ، وأطعمتك من ثمرة قلبها ما لا يطعم أحد أحدا . وأنها وقَتك بسمعها وبصرها ويدها ورجلها وشعرها وبشرها وجميع جوارحها مستبشرة بذلك ، فرحة ، موابلة (موبلة) محتملة لما فيه مكروهها وألمها وثقلها وغمها ، حتى دفعتها عنك يد القدرة وأخرجتك إلى الارض ، فرضِيت أن تشبع وتجوع هي وتكسوك وتعرى ، وترويك وتظمأ ، وتظلك وتضحى ، و تنعمك ببؤسها وتلذذك بالنوم بأرقها ، وكان بطنها لك وعاء ، وحجرها لك حواء ، وثديها لك سقاء ، ونفسها لك وقاء ، تباشر حر الدنيا وبردها لك ودونك ، فتشكرها على قدر ذلك ولا تقدر عليه إلا بعون الله وتوفيقه .

وأما حق أبيك : فتعلم أنه أصلك وأنك فرعه وأنك لولاه لم تكن ، فمهما رأيت في نفسك مما يعجبك فاعلم أن أباك أصل النعمة عليك فيه ، واحمد الله واشكره على قدر ذلك) .

فهذه جملة من حقوق الأبوين على الأولاد ، فالمفروض أن يأخذوها بنظر الإعتبار في السلوك والتعامل معهما .

وفي مرآة الكمال ذكر عدة أحاديث عن البر بالوالدين ، منها :

انه لن يدخل النار البار بوالديه ، وان رضا الرب في رضاء الوالدين ، وسخط الرب في سخط الوالدين .

ونقل عن المستدرك عدة آثار مروية للبر بالوالدين ، منها: طول العمر ، وكثرة المال ، والمحبة في العشيرة ، وان البار يطير مع الكرام البررة ، وان ملك الموت يتبسم في وجه البار .. هذا علاوة على رضا الله تعالى .

وعن النبي (ص) ان العبد ليرفع له درجة في الجنة ، لا يعرفها من أعماله ، فيقول رب أنى لي هذه ؟ ، فيقول : باستغفار والديك لك من بعدك .

وفي الحقيقة فإن البر بالوالدين انما هو من ضروريات الدين ، بل هو من الضروريات العقلائية ، وقد ورد في الحديث عن النبي (ص) : (رضا الله في رضا الوالدين) ..

وهو يبين لنا أهمية رضا الوالدين ، وان الله تعالى يرضى لرضاهما .

وفي الحديث ما مضمونه ان البر يدفع ظهر المؤمن يوم القيامة فيدخله الجنة .

وينبغي الإلتفات إلى ان البر لا يقتصر على الأبوين المؤمنين ، بل يشمل حتى الأبوين الفاجرين ..

ففي الحديث عن الباقر (ع) : (ثلاث لم يجعل الله عز وجل لأحد فيهن رخصة) ، وذكر منها (ع) : (بر الوالدين ، برين كانا أو فاجرين) .

وهذا يعني ان الابن مطالب بالإحسان إلى والديه والبر بهما ، حتى وان كانا قد ظلماه أو قصّرا في حقوقه ..

حيث ورد عن الصادق (ع) : (من نظر إلى أبويه نظر ماقتٍ لهما ، وهما ظالمان له ، لم يقبل الله له صلاة) .

هذا طبعاً مالم يستغفر الله تعالى ويتوب إليه ويصلح ما فاته ، لأن الله تعالى خير الغافرين ، فيحاول الولد ان يسترضيهما ان كانا حيين ، ويجتنب عقوقهما ..

واما ان كانا ميتين فيحاول أن يبرّهما بالخيرات ..

حيث ورد عن الإمام الباقر (ع) : (انه ليكون عاقاً لهما في حياتهما غير بار بهما ، فاذا ماتا قضى دينهما واستغفر لهما ، فيكتبه الله عز وجل باراً) .

أقول : المراد بقضاء الدين هنا ما يشمل الديون الدنيوية والأخروية .

وعلى أية حال ، فاذا كانت صلة الرحم واجبة ، فان الآباء والأمهات هم أولى الأرحام بالصلة والمودة ..

مع الإلتفات إلى التركيز على الأم ، حيث ورد انه جاء رجل إلى النبي (ص) فقال : يا رسول الله من أبر ؟ ، فقال (ص) : (أمك) . قال : ثم من ؟ ، فقال (ص) : (أمك) ، قال : ثم من ؟ ، فقال (ص) : (أمك) .. قال : ثم من ؟ فقال (ص) : (أباك) .

ثم انه توجد عدة مصاديق للبر بالوالدين ، نذكر منها الأهم :

١- الإحسان إليهما ومساعدتهما من جميع الجهات الممكنة ..

فقد روي عن أبي ولاد قال : سألت أبا عبد الله (ع) عن قول الله عزوجل : (وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً) ، ما هذا الإحسان ؟ ، فقال (ع) : (الإحسان ان تحسن صحبتهما ، وان لا تكلفهما ان يسألاك شيئاً مما يحتاجان إليه ، وان كانا مستغنيين ، أليس يقول الله عز وجل (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) .

وعن الصادق (ع) أيضاً : (فيمن قال له : ان أبي قد كبر جداً وضعف فنحن نحمله اذا أراد الحاجة ، فقال الإمام (ع) : (ان استطعت ان تلي ذلك منه فافعل ، ولقّمه بيدك فانه جُنة لك غداً) .

٢- الصبر وتحمل الأذى من الوالدين ..

حيث ورد عن الصادق (ع) في تفسير قول الله عزوجل : (إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا) ، فقال (ع) : (ان أضجراك فلا تقل لهما أف ، ولاتنهرهما ان ضرباك ، قال : (وقل لهما قولاً كريماً) قال (ع) : ان ضرباك فقل لهما : غفر الله لكما ، فذلك منك قول كريم) .

وعن الصادق (ع) أيضاً : (أدنى العقوق أف ، ولو علم الله عزوجل شيئاً أهون منه لنهى عنه) .

٣- الاحترام والتوقير لهما ..

حيث يقول الله تعالى : (وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ) ، وفي الحديث عن الصادق (ع) : (ولا ترفع صوتك فوق أصواتهما ، ولا يدك فوق أيديهما ، ولا تقدم قدّامهما) .

وفي مرآة الكمال انه قيل للإمام السجاد (ع) : أنت أبر الناس ولا نراك تواكل أمك ؟ ، فقال (ع) : (أخاف ان أمد يدي إلى شيء قد سبقت عينها عليه ، فأكون قد عققتها) .

٤- النظر إليهما بحنان ومودة ..

حيث ورد في نفس الحديث : (لا تملأ عينيك من النظر اليهما ، إلا برحمة ورقة) .

وفي حديث آخر عنه (ع) أيضاً : (من العقوق ان ينظر الرجل إلى والديه فيحد النظر اليهما) .

٥- النصيحة لهما ، والدعاء والاستغفار لهما ، فان ذلك كله من البر بالتأكيد ..

حيث ورد عن أبي عبد الله (ع) : (ما يمنع الرجل منكم ان يبر والديه حيين وميتين ، يصلي عنهما ويتصدق عنهما ويحج عنهما ويصوم عنهما ، فيكون الذي صنع لهما ، وله مثل ذلك ، فيزيده الله عزوجل ببره وصلته خيراً كثيراً) .

بل ورد عن الباقر (ع) : (ان العبد ليكون باراً بوالديه في حياتهما ، ثم يموتان فلا يقضي عنهما ديونهما ولا يستغفر لهما ، فيكتبه الله عاقاً) .

وهاهنا نقطة مهمة ينبغي الإشارة اليها .. وهي ان طاعة الوالدين قد لا تكون واجبة أحيانا ، بل قد تكون محرمة أصلاً في بعض الموارد ، إلا ان عدم امتثال أمرهما عندئذ لا يعني ترك البر بهما.

بيان ذلك : انه اذا كان يترتب على امتثال أمر الوالدين حصول ضرر حقيقي على الإبن أو ماله أو أهله ، فهنا لا يجب امتثال هذا الأمر ، نعم يفترض بالإبن البار عندئذ أن يحاول بمقدار ما يمكنه إقناع والديه أو استرضائهم أو نحو ذلك ، لأجل دفع سخطهم وأذاهم ، أو لأجل تهدأتهم و إرضائهم .

ثم انه في بعض الأحيان قد يأمر الوالدان أو أحدهما بالمعصية ، وهنا تحرم الطاعة على الإبن أو البنت ، لأن الوارد عن أمير المؤمنين (ع) : (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق) ، وكذلك ورد أنه (لا يطاع الله من حيث يعصى) .

ومع ذلك ينبغي على الإبن (أو البنت) أن يبر بوالديه - حتى في مثل هذه الحالة - بان ينصحهما ويحاول هدايتهما ، فان لم يهتديا ، فليستغفر الله تعالى لهما ، وليصاحبهما بمعروف ، كما ورد في قوله تعالى :

(وَإِن جَاهَدَاكَ عَلى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا ، وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً) لقمان- ١٥ .

لا يقال هنا ان الطاعة انما تحرم اذا أمر الوالدان بالشرك فقط ، واما اذا أمرا بالمعصية فالطاعة لازمة ، فان هذا القول واضح الفساد ،

لأن ارتكاب الـمعاصي انـما هـو وجـه مـن وجـوه الشـرك ، كمـا هـو مبين في مـحله .

هـذا بالإضـافة إلى عمـوم الـحديث الـذي ذكرنـاه قبـل قليـل عـن أمـير المؤمنين (ع) ، لان عنـوان (الـمخلوق) الـذي لا طاعـة لـه في معصـية الـخالق تعالى ، يشمل الوالدين وغيرهما .

نعم ورد في باب الـجهاد عـن الصـادق (ع) انه أتـى رجـل رسـول الله (ص) فقال : يا رسول الله إني راغـبٌ في الجهــاد نشيـطٌ ، فقـال النبي (ص) : (فجاهد في سبيل الله فإنك إن تُقتل تكن حياً عند الله تُـرزق ، وإن تـمُت فقـد وقع أجرك على الله ، وإن رجعت رجعت من الـذنوب كما وُلـدت) ، قال : يـا رسـول الله إن لـي والـدين كـبيرين ، يزعمـان أنهما يأنسان بي ويكرهان خروجي ..

فقـال رسـول الله (ص) : (فقـرَّ مـع والـديك ، فـو الـذي نفسـي بيـده لأُنسهُما بك يوماً وليلة خيرٌ من جهاد سنة) .

هـذه نظـرة عامـة في النصـوص والروايـات الـتي وردت فيهـا حقـوق الوالدين على أبنائهما وبناتهما .

وفي دعاء الإمام زين العابدين (ع) للأبوين : (وَاجْعَلْ طَاعَتِي لِوَالِـدَيَّ وَبِرِّيْ بِهِمَا أَقَرَّ لِعَيْنِي مِنْ رَقْدَةِ الْوَسْنَانِ ، وَأَثْلَجَ لِصَدْرِي مِنْ شَرْبَةِ

الظَّمْـآنِ ، حتَّـى أوثِـرَ عَلَـى هَـوَايَ هَوَاهُمَـا ، وَأُقَـدِّمَ عَلَـى رِضَـاي رِضَاهُمَا ، وَأَسْتَكْثِرَ بِرَّهُمَا بِي وَإِنْ قَلَّ ، وَأَسْتَقِلَّ بِـرِّي بِهِمَـا وَإنْ كَثُـرَ . أللَّهُمَّ خَفِّضْ لَهُمَا صَوْتِي ، وَأَطِبْ لَهُمَا كَلامِي ، وَأَلِنْ لَهُمَا عَرِيكَتِـي ، وَاعْطِفْ عَلَيْهِمَا قَلْبِي ، وَصَيِّرْنِي بِهِمَا رَفِيقاً ، وَعَلَيْهِمَا شَفِيقاً) .

و يبقـى أن نـشير بإخـتصار الى بعـض النصائـح والإرشـادات الـتي ينبغـي للأبنـاء أوالبنـات أخـذها بنظـر الإعتبـار في حيـاتهم الأسـرية ، وأهمها ما يلي :

١ - التواصـل والإنسـجام مـع الأبـوين ، وعـدم الـتخلي أو الإنـقطاع عـنهم ، مهمـا إخـتلفت الآراء والتوجهـات . وكـذلك ينبغـي التواصـل والإنسـجام مـع سـائر الإخـوة والأخـوات ، فـإن الـتلاحم بـين أفـراد العائلة ضروري جداً لـحفظ الأسرة وتكاملها مادياً ومعنوياً .

٢ - مصارحــة الأبـوين وعــدم الإخــفاء او الإخــتباء عــنهم ، فــإن الإخـتباء عـن الوالـدين ، أو إخـفاء بعـض الأمـور عنهمـا دليـل علـى الريبة والشبهة ، في حين تدل الشفافية والـصراحة على الثقـة بـالنفس وعدم وجود سر مُشين .

٣ - التشاور معهم ، وقبول النصيحة منهم (أي من الأبوين) ، حتى وإن كانت النصيحة ثقيلة ومخالفة لهوى النفس ، ففي الحديث عن الإمام الباقر (ع) : (اتبع من يبكيك وهو لك ناصح ، ولا تتبع من يضحكك وهو لك غاش).

٤ - تعلم و إكتساب الصفات والعادات الحسنة الصالحة الصادرة من الأبوين ، وعدم التأثر أو الإقتداء بما يصدر عنهم من السيئات و الأخطاء ، فإن الخطأ منبوذ ومرفوض مهما كان مصدره ، وليجد لأبويه عذراً إذا نظر منهم سيئة أو خطأً ، وليستغفر الله تعالى لهم .

٥ - الإستفادة من تجارب الأبوين وخبراتهم ، فإنها تسهّل الطريق أمامهم ، ففي وصية أمير المؤمنين (ع) لولده الإمام الحسن (ع) : (أي بني ، إنّي و إن لم أكن عمّرت عمر من كان قبلي ، فقد نظرت فى أعمالهم ، و فكّرت فى أخبارهم ، و سرت فى آثارهم ، حتّى عُدت كأحدهم ، بل كأنّي بما إنتهى إلى من أمورهم قد عمّرت مع أوّلهم إلى آخرهم ، فعرفت صفو ذلك من كدره ، و نفعه من ضرره ، فاستخلصتُ لك من كلّ أمر نخيله ، و توخّيتُ لك جميله ، وصرفتُ عنك مجهوله) .

٥ - التعاون مع الأبوين ، لإنجاح الأسرة وتكاملها من جميع الجهات والنواحي الممكنة ، وحمايتها من التفكك والإنحراف والخراب (لا سمح الله) ، فإن هذه مسئولية الجميع ، كل واحد من مكانه ووضعه ، وعلى حسب ظرفه وإمكانيته ، (وكلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته) .

٦ - عدم الإساءة بقول أو فعل ، الى الأبوين أو الأسرة عموماً ، بمعنى أنه يحاول جاهداً ان لا يصدر منه ما يسيء الى أبويه او أحد أفراد أسرته ، ولا يسيء الى سمعة عائلته ، سواء كانت الإساءة مادية أو معنوية ..

وليتذكر الإنسان دائماً أن الذنوب والخطايا هي نجاسات معنوية ، لا يطهر منها الا بالتوبة والإستغفار المناسبين ، وان الأخطاء والعثرات لها آثار و تبعات ، تحتاج الى معالجة و إصلاح ..

وهناك ذنوب وأخطاء تعم آثارها وتبعاتها الفاعل وغيره ، فلماذا نعذب أو نورّط غيرنا بذنوبنا ؟ ..

فالحذر مطلوب ، والحيطة لازمة ، و (من يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) ..

وأخيراً ينبغي الإلتفات الى مسألة خطيرة جداً ، وهي ان البنت بالخصوص ، في الوقت الذي تحتاج فيه الى رعاية أكثر من الوالدين ، فإنه يتوجب عليها بالمقابل أن تكون أكثر تواصلاً وإنسجاماً مع أبويها ، وأكثر صراحة ووضوحاً معهما ، لكي تعينهما على رعايتهما لها ، وبذلك تسلم وتغنم .

ولذلك يتوجب عليها أن تفتح قلبها لوالديها ، وخصوصاً والدتها بإعتبار أنها أقرب إليها ، وان لا تخفي عنهما سراً مريباً ..

فان الواقع الذي يفرض نفسه هو ان البنت المؤمنة العفيفة تحتاج الى من يرعاها ويحافظ عليها بكل أمانة وإخلاص ، ولن تجد هذه البنت أحرص عليها من والديها .

ولذلك يتوجب على البنت ان تتوجه بالسؤال الى والديها في كل تفاصيل حياتها الخاصة والعامة ، بمعنى انها تستشيرهما في كل صغيرة وكبيرة تصادفها ..

فاذا كانت تشعر بالحياء من والدها ، فلتسأل والدتها ، لكي تجنِّب نفسها الكثير من المشاكل والمخاطر التي تترتب على الجهل وعدم الادراك .

وعليها أيضاً ان تحترم وجهات نظر الوالدين ، وتأخذ بها ، خصوصاً اذا كانا مؤمنين ملتزمين.

ومن جانب آخر فان البنت البالغة الواعية تتحمل مسئولية تقديم المساعدة لوالدتها من جميع الجهات ، خصوصاً من الجهة الدينية او التربوية فيما لو كانت والدتها قاصرة او مهملة من هذه الناحية.

وفي الحقيقة يمكن القول ان البيت والعائلة هما (مجتمع البنت) ، التي تمارس فيه قابلياتها وابداعاتها ، وكلما كانت هذه القابليات محبوبة عند الله تعالى ، كلما كان ثوابها اعظم ، ومرتبتها أرفع ، وبالتالي فان الفائدة لها أولاً وأخيراً .

مسك الختام

ليكن شعار الزوج والزوجة وأولادهما من البنين والبنات ، قول الله تعالى :

(إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) الأحزاب- ٣٣

لكي يكون جزاؤهم وثوابهم ، قول الله تعالى :

(وَالَّذِينَ صَبَرُواْ ابْتِغَاء وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ، جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ، وَالمَلاَئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ، سَلاَمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ) الرعد (٢٢ - ٢٤)

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وقد تم الفراغ في هذه الليلة المباركة ، ليلة ولادة سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء (ع) ، بنت النبي المصطفى محمد (ص) ، وزوجة أمير المؤمنين علي (ع) ، وأم الإمامين الحسن (ع) والحسين (ع) ..

النجف الأشرف حيدر اليعقوبي ١٤٣٥ هـ

فهرست المحتويات